رَاقِصِو الْقُبُور

الكتاب: راقصو القبور
المؤلف: أحمد إبراهيم
تصميم الغلاف: إسلام مجاهد
تدقيق لغوي: هدير جودة
رقم الإيداع: 2019/27185
الترقيم الدولي: 978-977-778-199-2

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت: 02-338560372
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

أَحْمَدُ إِبْرَاهِيم

رَاقِصِو الْقُبُور

روايـة

إهداء

إلى روح أخي الغالي: مهند.

إلى روح أختي الغالية: دعاء.

إلى عائلتي الكريمة شكرًا لكم من كل قلبي.

***

إهداء خاص جدًا للكاتب الكبير، وأخي الغالي محمد عصمت، والكاتب محمد مسعد.

شكرًا على كل ما قدمتموه لي من دعم معنوي وأدبي.

***

إهداء إلى الكتاب: محمود وهبة،عمرو الجندي،أدهم الجيزاوي، أحمد شوقي مبارك، عمرو مرزوق، حسن مُحَمَّد، مُحَمَّد صاوي، عمرو المنوفي، محمود الجعيدي، أحمد ناصر، مُحَمَّد حياة، علاء محمد عبد الناصر، سامي ميشيل وأحمد مسعد مع مجموعة المخوفاتية، عبد الرحمن دياب، الشاعر اسلام عيادة، الكاتب الرائع محمد الصفتي، محمد أبو الفتوح

محمود المعداوي ، ايهاب عصمت، باسم الخشن، ضياء الدين خليفة، زكريا حجاج .

***

إلى الكاتبات: أسماء الحويلي، فاطمة صالح إبراهيم، شيري مصطفي، الدكتورة، زينب محمد ريماس صالح، إسراء عبد الحميد، حسناء محمود، الشيماء صلاح الدين، نور حسين، منى حارس، رشا فؤاد، مروة

الشناوي، هند عبد الله، الكاتبة إيمان الشاذلي، سلمي الغزاوي، سمر الحبيشي، مروة فتحي، هبة عبد اللطيف .

***

آية وجدي، سهي سمير و سمر سمير، عبير الأنصاري، بوسي فهمي، نور مجدي، الدكتورة شيماء، ميراي محمد، أماني عفيفي، مروة مُحَمَّد، مها يونس، أسماء أحمد محمد، حبيبة الرحمن، شوق و حنين، سارة الليثي، زينب أبراهيم ، نادين بكر، نعمة أحمد، ريم محمود، فاطمة مصطفي، سما احمد، ميادة أسماعيل السيد ،عصمت علوان، دعاء محروس، راوية عبد الرحمن .

أصدقائي: محمد ميجو، محمد السيد الأسيوطي، أحمد عزت الدسوقي، محمد و هايدي .

***

أهداء خاص جدا الي الروح الفنان الراحل هيثم أحمد زكي .

***

إهداء خاص جدًا للأخت الرائعة والصديقة الغالية: نجوى جمال.

إلى كاتبة المستقبل والعزيزة الغالية: ولاء عادل عبد الوكيل.

إلى الغالية المهندسة: سمر عزت.

إلي أستاذتي : أية هلال .

إلي أختي الغالية : بسنت شعبان

إلى أستاذي الغالي: طارق وافي.

إلي أستاذتي : سارة صلاح .

إلى دفعتي 79 ضباط مراقبة جوية.

شكرًا لكل من قدموا لي الدعم، وأتمنى أن أكون عند حسن ظنكم دائمًا.

أحمد إبراهيم

المقدمة

لكل منا أسرار خبايا لا يعلمها إلَّا صاحبها، الحياة ذاتها سر كبير، وبقدر ما يولد يبتلع الموت آخرين، منهم من يترك بصمة وعلامة تعيش على مر الزمان، ومنهم من اِنقضى عمره مر بها ومات كعابر سبيل.

يقضي كل منا دورته في الحياة حتَّى يموت، لكن ماذا بعد الموت؟

هل يحدد القدر مصائر بشر فقط ؟

ربما نعم وربما لا، البعض يراها أسئلة وجودية أو تدخل في علم الغيب لا يجب علينا أن طرق أبوابه أو الحديث عنه.

الفضول آفة البشر، طبيعتنا البشرية التي تدفعنا للفضول الذي قد يصل بنا إلى حد القتل، لذلك إن قررت الخوض في غمار موضوع تعلم مدى خطورته، كن على دراية بحجم المخاطر التي سوف تواجهها في سبيل معرفة ما تريد، لكن كن حريصًا على حياتك ولا تخوض في غمار ما أخفى عنك، إن كنت تريد البقاء حيًّا.

الحياة لغز يحمل العديد من الأسرار والخبايا، عوالم بداخل عوالم وأسرارًا خفية قد لا يعرفها البعض، حتَّى الآن لمْ يستطِعْ اِكتشافها إلَّا القليل مِمَّن عرضوا حياتهم للخطر وأنا واحد منهم.

دعني أأخذك معي إلى أحد تلك العوالم بكل ما فيها من مخاطر وأهوال، أحبس أنفاسك ودع روحك تحلق معي إلى ذلك العالم إن كنت تريد، ستكون تلك البداية لكنها ليست كأي بداية، فهل أنت مستعد لتلك الرحلة؟

"على الرغم من أن الحياة وما بها من جمال براق ومغريات تسحر القلوب والعقول، إلَّا أن بها من الأسرار المخيفة ما باستطاعته أن يبث الرعب في نفوس كل من تعمق بها إذا لمْ يكنْ في قلبه الشجاعة الكافية لمواجهة كافة التحديات".

"قد يغامر البعض سعيًا لكشف تلك الأسرار لكن في المقابل لا بد وأن يفقد شيء ما ذو قيمة ، لذا وجب التحذير".

الفصل الأول

(1)

ركضت مسرعًا نحو ضوء خافت لاح لي من إحدى الطرقات بينما أحاول الهروب منهم، رأيتها تصرخ باسمي لأنقذها لكني لمْ أقوَ على مساعدتها!!

الظلام يزحف خلفي بسرعة مخيفة، نبضات قلبي تتسارع حتَّى يُخيل لي بأنَّه سينفجر ما بين لحظة وأخرى، صراخات مفزعة تصدر من كل مكان حولي، أَنظر خلفي بينما أركض لأرى الظلام يلتهم كل ما حولي تمامًا كألسنة نار جائعة لا تتوقف.

ما زال صوت صراخها يعلو وما زلت أركض حتَّى وجدت ذلك المنزل، لمْ أستطعْ تحمل ما رأيت فور إن دخلت إلى المنزل، فاطمة معلقة في منتصف المكان، الدماء في كل مكان من حولها تتجمع داخل بركة صغيرة سوداء قاتمة.

- اهرب.

هذا ما صرخت به تحذرني لأنجو بحياتي، حين هممت بالهرب فتحت هوة كبيرة تنفث هواء ساخن لا يحتمل بينما ألسنة اللهب تخرج منها كلما حاولت الاقتراب أحرق هوائها جلدي.

اِستيقظت فزعًا والعرق يتصبب مني بغزارة فيما يرفع أَذان الفجر، تلك لمْ تكنْ المرة الأولى التي أرى بها هذا الكابوس اللعين حتَّى أصبح الأمر مقلقًا إلى حد الريبة.

***

(2)

القاهرة.

الثلاثاء: الساعة الثانية عشرة ظهرًا.

مبنى إحدى الجرائد القومية بوسط البلد:

يجلس الأستاذ مجدي محفوظ رئيس تحرير الجريدة بمكتبه ممسكًا سيجاره الكوبي الفخم يدخنه باستمتاع، على الهاتف الداخلي للجريدة أخبر سكرتيرة مكتبه أن تبلغ رؤساء الأقسام باجتماع عاجل.

مرت ساعة حتَّى خرج من مكتبه متجهًا نحو القاعة التي يجلس بها الجميع في انتظاره، ألقى التحية عليهم ثمَّ شرع في الحديث عن الحدث السنوي المنتظر، "عيد ميلاد الجريدة"، شَدَّدَ على الجميع ضرورة أن يكون العدد السنوي حديث الشارع المصري بأكمله، الوقت في صالحهم، شهر كامل يفصلهم عن الحدث السنوي الأكبر، تفحصهم جميعًا قبل أن يأذن ببدء الحديث و طرح الموضوعات، قام جميع رؤساء الأقسام بشرح الخطط المطروحة مع إشارة لكافة المواضيع التي تناسب العدد السنوي، اِستمع للجميع حتَّى اِنتهوا من حديثهم ليأذن لهم بالبدء في العمل، أثناء عودته إلى مكتبه لاحظ اِنتظار الصحفي الشاب أحمد وزميلته فاطمة، كانا يقفان في آخر القاعة فأشار لهم بأن يتبعوه إلى مكتبه.

دلف إلى المكتب ومن خلفه الصحفيين الشباب، طلب من سكرتيرته ألَّا تدخل عليهم أحد، جلس على مكتبه بعدما طلب منهم الجلوس وعلى وجهه اِبتسامة غريبة!

تلاقت عينا أحمد وفاطمة في اِنتظار ما سوف يخبرهم به، قطع الصمت ساعة أن تحدث.

- أحمد وفاطمة أنتما الاثنين مميزين لديّ، منذ بداية تدريبكم بالجريدة وأنا أرى فيكما ما لمْ أراه في أحد غيركم، الآن اِنتهت المدة المخصصة للتدريب وأصبح لديكم العديد من المتابعين والقراء، موضوعاتكم جريئة ومثيرة للغاية أكاد أجزم بأنَّها من أفضل الموضوعات التي سمحت بنشرها في آخر ستة أشهر، لكن عدد الشهر القادم هو مفتاح السعادة لكم، ما أريده منكم ليس بجديد عليكم، الشهر القادم عيد ميلاد جريدتنا كما تعلمون لذلك أتمنى أن أجد على مكتبي ما لمْ أراه من قبل، أريد موضوعًا تتحدث عنه مصر بأكمله والمكافأة ستكون تعيينكم رسميًّا معنا بالجريدة.

- أستاذي لقد عاهدت نفسي أنا وفاطمة أن نقدم كل جديد فلا تقلق، تلاميذك لن يخذلوك، أمَّا بالنسبة للموضوع فسوف يكون على مكتبك في خلال ذلك الشهر قبل البدء في تجهيز العدد السنوي، ربما سيكون الموضوع غريب لكنني واثق من أنَّه سيبهرك ربما بثقتي بأنَّه موضوع متفرد وقد يكون بالنسبة لنا مشروع العمر.

- هل من الممكن أن تعطيني نبذة عن ذلك الموضوع؟ ما رأيك يا فاطمة؟

- أستاذنا العزيز لقد تعلمت منك أن السريَّة مفتاح نجاح السبق الصحفي، ولهذا تعودنا على العمل في صمتٍ، لذلك أَنتظر منا موضوع سوف يحكي عنه الوطن العربي بأثره ولذلك أطلب منك الإذن بأن نبدأ العمل عليه لأننا في أغلب الوقت لن نكون موجودين بمكاتبنا إذا سمحت لنا بذلك.

اِبتسم جلال ثمَّ أشار لهم بالذهاب بعد مباركته بداية مشروعهم كما أطلقوا عليه، خرجوا مبتسمين فيما ظلت أيديهم متشابكة حتَّى خرجوا من باب الجريدة متجهين نحو سيارة أحمد حتَّى أستوقفته فاطمة تستفسر منه عن سر تغيره المفاجئ.

نظر لها في وهن قبل أن يخبرها عن ذلك الحلم مقتطعًا منه ذلك الجزء الذي يراها به مقيدة والدماء من حولها، تعجبت من طريقة سرده لذلك الحلم، طمأنته بأن الأمر لا يعدو كونه حلم، أو كابوس مزعج لكن قلبها كان يرتجف خوفًا عليه بالفعل.

اِستقل السيارة وهى إلى جواره لينطلقا نحو بيت فاطمة للبدء بذلك المشروع الغامض، بينما كان جلال واقفًا أمام النافذة يراقبهم في صمت وهو يبتسم.

***

(3)

منذ لقائهم الأول بالجامعة ظهرت علامات الحب على وجهيهما ، طالبين في كلية آداب قسم صحافة وإعلام، اِجتمعوا على حب تلك المهنة فلمْ تكنْ مجرد دراسة أو شهادة، حياة وحلم مشترك، تقاسماه فيما بينهما، فاطمة الشاذلي صاحبة الثلاثة وعشرون عام، تلك الفاتنة ذات القوام المثالي الذي طالما حسدها عليه الكثير من رفيقاتها، تلك الحالمة التي اِكتسبت حب الصحافة من والديها الصحفيين المعروفين وعلى يديهما اِزداد شغفها بذلك العالم.

أحمد فاضل صاحب الثلاثة وعشرون عامًا ذلك الشاب الوسيم صاحب البنية الجسمانية المتوسطة، الشاب الذكي الذي أبهر جميع أساتذته مع أولى خطواته بالجامعة، سريع البديهة المثابر الذي لا يكل ولا يمل من البحث عن أغرب القضايا والموضوعات، تنبأ له الكثير بمستقبل وأعد لذلك، سارع البعض يقدمون له يد المساعدة هو وفاطمة لكسبهما إلى جانبهم فأصبحت موضوعاتهم وتحقيقاتهم محط أنظار الجميع.

قدم لهم أحد الأساتذة فرصة للتدريب في إحدى المجلات الشبابية التابعة لأحد الصحف القومية التي يرأسها الصحفي المعروف مجدي محفوظ، خطفا الأنظار بموضوعاتهم وتحقيقاتهم المثيرة للجدل، حينما اِجتمع بهم لتكريمهم على ما حققوه خلال فترة التدريب الصيفي أعطاهم الكارت الخاص به، وهو يخبرهم بضرورة الاتصال به فور اِنتهاء دراستهم في السنة النهائية، بات الحلم حقيقة واكتمل حينما تمت خطبتهم في السنة النهائية قبل اِلتحاقهم بالعمل التدريبي للجريدة.

***

(4)

جلست فاطمة بجانبه في السيارة بعد أن تحرك متجها إلى منزلها، لاحظت شروده منذ بداية اليوم، لمْ يكنْ على طبيعته معها، كلامه يكاد يخرج من فمه بصعوبة بالغة على الرغم من تصرفاته وحديثه بصورة طبيعية أمام رئيس التحرير!

طلبت منه أن يتوقف لبعض الوقت، لم يتوقف إلَّا بعدما ألحت عليه فتوقف مرغمًا، توقف بجانب الطريق المؤدي إلى منزلها في التجمع الخامس، بدأت بسؤاله عن سبب تغيره الشديد اليوم وكأنما يحمل همًا كبيرًا لا يريد أن يفصح عنه، لم يعطها الفرصة للاسترسال بالحديث، مرة أخرى أخبرها عن ذلك الكابوس الذي راوده لمدة أربعة أيام وبأنه السبب في تلك الهيئة التى يبدو عليها، نظرت له في عطفٍ بالغ حينما لاحظ تلك النظرة أمسك يديها وقبلها ثمَّ أخبرها بضرورة العودة إلى منزلها حتَّى لا يتأخروا على موعد الغداء بمنزلها، اِبتسمت له وبداخلها قلق شديد عليه لكنها لم تدعه يرتسم على قسمات وجهها.

منزل فخم، ألوان وديكورات راقية إلى جانب أثاث رائع يدل على ذوق رفيع في اختياره مع العديد من التحف المتناثرة في أرجاء المنزل، هذا هو منزلها.

رحب الوالدان بهما فور عودتهما ولم يمهلاهما سوى دقائق حتَّى جلسوا سويًّا على مائدة الطعام التي أعدتها الأستاذة سامية والدتها، وهي تشدد على أحمد ضرورة أن ينهي طبقه بالكامل لا كما يفعل كل مرة، بدأت فاطمة بالحديث عن فعاليات التجهيز لعيد الجريدة السنوي ليكمل أحمد الحديث بأنه بصدد تجهيز تحقيق صحفي من شأنه قلب بعض الموازين، وتحقق صدي واسع بين القراء،

اِلتفت الجميع تجاهه وعلى وجوههم علامات الاستحسان فيما اِبتسمت فاطمة معربة عن تعجبها مِمَّا قاله فتلك هي المرة الأولى التي يتخذ بها القرار بدون الرجوع لها، تظاهر بالشبع بعدما ترك ما في يديه من طعام ثمَّ أستأذن منهم ليغسل يديه؛ لأن عليه للحاق بميعاد هام لا يمكن له التأخر عنه، نظرت فاطمة لهم ثمَّ قامت مسرعة خلفه.

- ألا ترى أن أفعالك غريبة اليوم، قل لي ما بك ولا تخبرني بأنَّه الكابوس مرة أخرى فكلنا نمر بما هو أسوأ، ألا ترى أن اِختيارك للموضوع بدون مشاركتي غريب بعض الشيء، تلك هي أول مرة تقدم على خطوة بدون مشاركتي، أخبرني ما بك؟

- أخبرتك أن ذلك الكابوس هو ما يؤرقني، تكرر أربعة أيام متتالية وينتهي بمجرد سماع صوت آذان الفجر، أمَّا بالنسبة لذلك الموضوع فدعيني أخبرك به لاحقًا، لأنني الآن يجب عليّ الذهاب للقاء محمد في منطقة الحسين، أرجوك لا تقلقي سوف أكون بخير والآن يجب أن أذهب.

نظرت له وهي تبتسم ابتسامة باهته، أومأت برأسها علامة تفهم لما قال رغم اختصاره للكلام، قبل باطن يديها ثمَّ اِستأذن من الجميع وغادر المنزل.

ركب سيارته لاعنًا كل شيء يعكر صفو حياته خاصة حبه لفاطمة، عشقه لها قد يصل إلى حد الجنون، من يراهم يقسم بأنهما روح واحدة سكنت جسدين.

قاد سيارته ممسكًا بالهاتف يطلب صديق عمره محمد عليٌّ، ذلك المحامي الشاب صديق الطفولة والدراسة الذي لازم أحمد في كل خطواته، صاحب البنيان الجسماني الضخم والقلب الجريء ومواقفه الجادة أجبرت من يتعامل معه على احترامه.

طمأنه بأنه قد أوشك على الوصول وبأنه في طريقة إلى المقهى القابع في أول منطقة الحسين كما أخبره، ضحك محمد وهو يخبره بأنه في اِنتظاره منذ نصف ساعة ليضحكا سويًّا قبل أن يغلق الخط ويزيد من سرعة سيارته ليصل إلى ذلك

الطريق المؤدي إلى الطريق الرئيسي، أدار الكاسيت ليستمع إلى أغانيه المفضلة والتي يفضل دائمًا سماعها بجانب فاطمة، زاد من سرعة السيارة مع اندماجه الشديد، على بعد مائة متر لاحظ وجود شيء يقطع الطريق ذهابًا و إيابًا، بدأ في تقليل سرعة السيارة حتَّى تذكر أن ذلك الطريق مقطوع ومن الممكن أن يكونوا لصوص، وجد بأن الموقف مريب فزاد من سرعة سيارته، اِصطدم شيء ما به فلم يقف واستمر في طريقه وهو غارق في تساؤلاته وحيرته حتَّى وصل إلى منطقة الحسين، بعد أن ركن سيارته هبط مسرعا إلى المقهى الذي يجلس عليها محمد الذي شاهده فأغلق الهاتف وقام لتحيته ليجد وجهه أصفر اللون وكأنما خرج من قبر، طلب من القهوجي كوب من الليمون ثمَّ نظر إلى أحمد يتفحصه.

- أخبرني ما بك لما وجهك شاحب؟ لقد أخبرتني فاطمة عن غرابة حالك اليوم ونحن قلقون عليك، ولماذا تصر اليوم أن نتقابل تحديدًا هنا؟

- أسئلة كثيرة تؤدي إلى الملل ولا وقت لديّ.

نظر له محمد بجدية جعلته يرتبك قبل أن يكمل حديثه قائلًا:

- نعم هناك كابوس يطاردني منذ أربعة أيام لا يفارقني، كأني أراه مجسدًا أمامي أعيش كل تفاصيله، مشهد مرعب، حين أسمع صرخات فاطمة وهي تستغيث بي، ذلك الظلام الراكض خلفي يريد التهامي، هوة كبيرة فتحت تحمل ذلك الهواء الساخن الذي أحرق جلدي، منظر النيران المنبعثة منه....، لا أعلم صدقني تلك هي المرة الأولى التي أشعر بضيق فيها بسبب حلم أو كابوس أيًّا كان مسماه، دعنا من كل ذلك الآن تعلم جيدًا أني أعمل في الجريدة مع فاطمة تحت التمرين، اليوم بعد اِجتماع مع رئيس التحرير بمناسبة التجهيز للعدد الخاص بالعيد السنوي للجريدة، طلب منا في لقاء خاص بمكتبه تحقيق صحفي يختلف عن باقي التحقيقات والمواضيع التي خضناها لذلك قررت أن أستعين بك يا صديقي بعيدًا

عن فاطمة، تلك هي المرة الأولى منذ اِلتقينا أستبعدها من مغامرة سوف أخوضها، لذلك أريدك أن تركز معي جيدًا، فالتحقيق سيكون عن أهل المقابر.

- من الجيد أن تكتب عنهم بأحوالهم المعيشية حتَّى يلتفت إليهم المسئولين، لكن هل ترى أن ذلك التحقيق يستدعيك لاستبعاد فاطمة منه؟

- أتمنى أن تركز معي جيدًا أنا أتحدث عن أهل القبور من الأموات لا عن الأحياء، قصص عن أغرب الشخصيات الراحلة التي أثارت الجدل وأم.....

قاطعه محمد في ضجر واضح و هو يقول:

- وهل ذلك الموضوع ذو أهمية بالغة لتستدعيني بتلك الكيفية وتبالغ في قسوتك مع فاطمة ؟ لا تقنعني أن كل هذا بسبب الكابوس أو تلك الفكرة الغبية، أستخدم الإنترنت لذلك التحقيق فالكثير من ميتات المشاهير كانت مسار للجدل.

أثناء حديثهم اِنتبهوا إلى ذلك الرجل العجوز الجالس بجانبهم نهض من مكانه ثمَّ أحضر كرسيه منضمًا لطاولتهم مبتسمًا في ود مبالغ به، نظر لهم وهو يخبرهم بأنه لمْ يقصدْ أن يتصنت عليهم لكنه اِنتبه حينما تحدث أحمد عن حياة أهل القبور من الأموات، أخرج من جيبه ورقة وأخبرهم أن يبحثوا عن ذلك الشخص فهو الوحيد الذي يستطيع مساعدتهم، لم يكد العجوز يترك مكانه ليغادر حتَّى قام محمد ورائه، جذبه القهوجي من يديه وهو يقول:

- لا تقلق من شيء فهذا عم محمود رجل طيب ومبروك يحب مساعدة غيره فقط دون مقابل، قل لي ماذا أخبرك؟

أمسك محمد الورقة وهو يعطيها للقهوجي الذي تبدلت قسمات وجهه وكستها الدهشة، ثمَّ نظر لهم متعجبًا.

- خليل النسر!! ماذا تريدون من ذلك الرجل؟ ذلك الشخص ما هو إلَّا مجذوب ليس له مكان محدد و أغلب الأوقات تجده بين أضرحة الأولياء، هذا ما سمعته

عنه لكني لم أشاهده إلَّا نادرًا، دائمًا ما نراه ملازم لجنازات معينة وخاصة التي تخرج من مشرحة زينهم بمصر القديمة.

نظر الاثنان إلى بعضهم البعض في تعجب واضح، ظهر على أحمد بعض علامات القلق التي بانت على قسمات وجهه، لاحظ محمد ذلك فحاول جذب انتباهه، سأل القهوجي عن: المكان الذي بإمكانهم إيجاد ذلك الشخص به فلم يجبهم، نظر لهم القهوجي، وهو يخرج هاتفه الصغير قائلًا: أتركا لي أرقامكم حين يظهر سوف أخبركم، سجل الأرقام ثمَّ أخرج محمد مبلغ من المال وأعطاه له ثمَّ انصرفا.

قاد أحمد سيارته بسرعة جنونية وبجانبه محمد الذي طلب منه أن يخفف سرعة السيارة، توقف فجأة على جانب الطريق ليتضح على وجهه الإنهاك والقلق، سأله عدة مرات هل كل هذا بسبب الحلم أم شيء آخر وكانت إجابته هي: الخوف من ما هو قادم، نظر إليه وهو يطمئنه بأنه يجب عليهم التركيز في أمر ذلك التحقيق ومعرفة ما سوف يقدمه لهم خليل النسر ذلك، أشار محمد برأسه بعدما تحرك بالسيارة للعودة إلى منزل أحمد بعد أن أخبره بضرورة مكوثه معه تلك الأيام حتَّى ينتهي ذلك التحقيق.

- يجب علينا أشراك فاطمة بالموضوع.

قالها محمد وهو يفتح باب السيارة، نظر له أحمد في تعجب واضح حتَّى بانت الحدة واضحة على قسمات وجهه وهو يقول:

- أحمد لقد خضنا الكثير من المغامرات معًا فنحن فريقًا واحدًا، لا تنسى أني صديقك الوحيد وفاطمة سوف تكون زوجتك فلا تتردد في طلب المساعدة، يجب علينا أن نتشارك في كافة تفاصيل حياتنا.

نظر له أحمد ثمَّ أطفأ محرك سيارته بعد أن وصلا لمنزله، أخرج هاتفه مسرعًا ليحدث فاطمة، اِبتسم محمد ثمَّ خرج من السيارة وتركه حتَّى ينهي مكالمته.

***

"أخبرونا أن الإنسان حر القرار والاختيار، لا إجبار في شيء أي كان، لكن في بعض الأوقات نكون نحن اِختيار بعضهم بدون أن نشعر، لذلك نختار ما قدر لنا ونقبل بما فرض علينا".

الفصل الثاني

(1)

صباح الأربعاء – الساعة العاشرة صباحًا.

منزل أحمد:

ضوضاء جرس الباب تعلو حتَّى اِستيقظ محمد متثائبًا همَّ بفتح الباب ليجدها فاطمة، ضحكت من منظره حين سمح لها بالدخول، طلب منها الانتظار لمدة ثواني قليلة حتَّى اِرتدى ملابسه في عجالة، تساءلت عن حال أحمد فأخبرها بأنَّه لاحظ أن ذلك الحلم يسيطر عليه كليًّا وكأنه حدث جلل طبع في ذاكرته إلى جانب علبة المهدئات الموضوعة بجانبه دائمًا. نظرت له فاطمة في حزن واضح فأخبرها بأن ذلك التحقيق سوف ينسيه هذا الحلم البأس، طلب منها أن تنتظر في غرفة المكتب حتَّى يستطيع إيقاظ أحمد واللحاق بها للاجتماع.

نصف ساعة حتَّى اِستيقظ بعد أن داهمه محمد بمزاحه المعتاد وأخبره أن فاطمة جالسة بالمكتب في انتظاره للحديث والبحث في أمر ذلك التحقيق، نهض مسرعا وارتدى ملابسه بعد أن غسل وجهه وأخبر محمد أن يجلس مع فاطمة، عشر دقائق حتَّى خرج من غرفته إلى المكتب مباشرة ليجد الاثنان يمزحان فطلب منهما الانتباه.

- كما تعلموا أن جميع تحقيقاتنا قد أثارت ضجة كبيرة حتَّى أصبح لنا الكثير من القراء والمتابعين، لكن تلك المرة ليست كسابقها فنحن على وشك تغيير كبير

في حياتنا المهنية من متدربين إلى صحفيين وهذا الأمر لا يشملك فأنت محامي لكن لك الفضل الكبير في الكثير من موضوعاتنا التي كادت ألَّا تتم لولا مساعدتك، لذلك حدثتك عن تحقيقنا القادم في عيد ميلاد الجريدة وهو حياة أهل القبور من الأموات، قصصهم وحياتهم الخاصة وكيف ماتوا أو أن صح التعبير الأغرب من بينهم.

- لقد فهمت ما ترمي إليه يا صديقي العزيز وهذا ما قمت بشرحه لفاطمة لكي تستوعب ما نقوله، أمَّا ما حدث البارحة هو ما شغل كل تفكيري ذلك العجوز وخليل النسر المكتوب اِسمه على الورقة، فلا أرى سوى أن نذهب لذلك الرجل بعد أن نعثر عليه نتحدث معه وكل الأمور سوف تكون واضحة أمامنا فما رأيكم؟

- ما أراه الآن هو اثنان مختلان عقليًّا، مهما بلغنا أقصى درجات الجنون لن نستطيع الخوض في أمر كذلك، حرية الاختيار لكما لكن أذكركم أن ذلك الأمر مختلف لذلك يجب أن نكون على حذر بالغ وشديد قبل التفكير في خوض تجربة كتلك.

نظر لها أحمد في حدة ثمَّ أمسك ورقة كتب عليها بعض العناوين ثمَّ ثبتها بمسمار صغير على لوحة كبيرة يستخدمها وهو يقول:

- إذن ستبدأ مهمتنا بداية من خليل النسر والعثور عليه حتَّى نتمكن من إيجاد أول خيط لتحقيقنا.

أمسك محمد بهاتفه قائلًا:

- دع موضوع خليل النسر لي سوف أجده بطريقتي الخاصة أمَّا أنتم فالساعة الآن الثانية عشر ظهرًا أذهبا إلى مقر عملكما وأنا سوف أذهب الآن إلى مقر عملي.

هبط الثلاثة من المنزل متجهين إلى سيارة أحمد، ترك محمد الاثنان خلفه

حينما وجد ورقة مكتوب عليها: "ساقتكم الأقدار لنا، بدأت الرحلة لا مفر من الرجوع"، نظر إلى الورقة مرة أخرى وعقله يفكر بما تعنيه، حين فاجئه أحمد من خلفه أخفى الورقة سريعًا في جيبه وهو يقول:

- إعلان رخيص لمطعم جديد دعنا نجربه حين نعود.

نظر لهما مودعًا ثمَّ ذهب مسرعًا في طريقه إلى العمل، تعجب الاثنان من ردة فعله العجيبة حين ركبا السيارة حتَّى يلحقوا ما فاتهم في الجريدة.

***

(2)

لليوم الخامس ما زال ذلك الحلم يراودني، تلك المرة كانت قاسية ومخيفة، ذلك الظلام الذي يركض خلفي اليوم أراه واضحًا كأنَّه شخص ضخم الجثة يسد عين الشمس بجثمانه، ذلك المنظر وكأنها طرقات مقابر موحشة تقتل النفس ببطء، الإضاءة الخافتة وأصوات الصراخ التي تنبعث من جوانب الطرقات بجانب صوتها، نعم وصلت إلى ذلك المنزل مجددًا، المعالم تتضح، منزل كبير متهالك وكأنه من العهود القديمة ذو حديقة واسعة خالية من الحياة، دلفت إلى داخله لأجد ذلك المشهد مجدد أشد وضوحًا من ذي قبل.

فاطمة معلقة من يديها ورجليها حولها تلك البركة السوداء من الدماء، تنظر لي وكأنَّها تريد أن تتحدث لكن فمها مغلق وكأنه مغلق بخيط، جحظت عيناها حين اِهتزت الأرض من حولي وفتحت تلك الهوة من جديد لكن تلك المرة أنفاسها أتت محملة بهواء أشد سخونة عن قبل، يخرج منه ألسنة اللهب، خمسة وجوه تخرج من تلك النيران ثمَّ ترجع لها في عدة حركات سريعة، ما هذا أنه محمد صديق عمري يبدو وكأنه مغيب يتجه نحو تلك الفتحة، أخذت أصرخ عليه لكي يسمعني لكن فات الأوان، دخل ثمَّ اختفى كل شيء، وجدت نفسي في الظلام وحيدًا من جديد أصرخ ولا سامع أو مجيب.

اِستيقظت فزعًا على صوت أَذان الفجر لأجد محمد يجلس أمامي على وجهه علامات القلق والاستفهام، نهضت من سريري إلى الحمام مباشرة أخذت حمامًا باردًا للأفاقة، بعدها خرجت مباشرة نحو تلك العلبة مجددًا أسحب منها قرصًا،

حينها بادرني بالسؤال وعلامات الجدية مرسومة على وجهه، أخذت في سرد ما حدث معي في ذلك الحلم بالتفصيل، أمسك بقلم وأخذ يرسم ذلك الطريق كما وصفته له إلى جانب ذلك المنزل بتلك الفتحة، حين أمسكت بتلك الورقة شعرت بالدهشة تعتريني، ذلك الرسم لمْ يكنْ إلَّا وصف دقيق وتصوير لما رأيته وكأنه كان معي في ذلك التوقيت من الحلم، نظر إليّ وهو يبتسم ويقول: سوف نحتاجها يومًا ما، أتركها ولا تفقدها، أعلم أنَّه لا يتكلم من فراغ كما عهدته لذلك أخذت تلك الورقة وعلقتها على الحائط الخاص بمكتبي.

***

(3)

اليوم التالي.

العاشرة مساءً:

على أحد المقاهي جلس محمد مع بعض زملائه يتناقش معهم في الأمور الخاصة بالعمل حين رن هاتفه ثلاث مرات متتالية، لمْ ينتبه لها إلَّا حين نبهه أحد الجالسين بالقرب منه له، أجاب تلك الرنات التي أزعجت زملائه وعلى وجهه علامات الدهشة.

- حقًا ظهر؟ إذن راقبه حتَّى أتي إليك، سوف أكون متواجد في غضون عشر دقائق ليس أكثر

اعتذر لأصدقاؤه بعدما أخبرهم بأن عليه المغادرة لأمر طارئ ليلقى كل منهم مزحة سخيفة حول موته على يد صديقه الصحفي المجنون أحمد فلم يعرهم أي اِهتمام وانطلق في طريقه.

ركب مسرعًا إحدى سيارات الأجرة المتوجهة إلى منطقة الحسين، أمسك هاتفه وطلب أحمد قائلًا:

- قابلني فورًا في الحسين لقد وجدت خليل النسر.

****

"قد ساقتنا الأقدار أن نلتقي، نجتمع على فكرة وهدف إلى أن يحدث الخلاف فتظهر الحقائق وما بداخل النفوس، أمَّا نتماسك ونفوز وأمَّا نفترق وحينها يحدد القدر مصير كل منا، بداية الرحلة ليست كنهايتها فحدد وجهتك قبل القيام بها".

الفصل الثالث

(1)

"لله المدد..... حي... هو الله".

تلك كانت الكلمات التي رددها خليل النسر حين رأيته، شخص متوسط الطول ذو ثياب بالية، شعره الطويل ومظهره غير مهندم وتلك السبح المعلقة على صدره منحوه هيئة عجيبة، من بعيد رأيت محمد يتحدث مع عامل القهوة الذي أخبره بوجوده، عندما وصلت إلى هناك رأيته يقترب مني بطريقة حذرة، لا أدري ما عليّ فعله، همس في أذني بما جعلني أتجمد في مكاني لا أستطيع الحركة.

- كنت أنتظرك، لقد أخبروني بمجيئك.

تلك كانت كلماته، لاحظ محمد ذلك ليتحرك بخطوات مسرعة جعلت خليل يتراجع عدة خطوات إلى الخلف وهو ينظر لنا ويقول:

- لقد أخبروني بكل شيء، أعلم من أنتم وماذا تريدون فالرحلة بدأت ولا مفر من العودة.

نظر له محمد بنظرة استفهام وهو يحاول إمساك يده، اِستوقفته يد أخرى بينما صاحبها يقول له:

- سوف تخيفه منك دعه لي، أتركوني معه سوف نعود بعد ساعة.

لمْ يكنْ سوى ذلك العجوز عم محمود ذو الجسد النحيف بجلبابه الأبيض

الواسع الذي أعطانا الورقة في اللقاء الأول، نظرت إلى ثلاثتهم غير مستوعبًا ما يحدث وما زالت كلماته تتردد في أذني.

جلسنا على المقهى فأتي إلينا العامل مسرعًا ناظرًا إلى محمد الذي أخبره أن تدخل ذلك الرجل العجوز يزعجه، توقف الرجل وهو يخبرنا بأنَّه سوف يقدم المشروبات التي بيده للزبائن ثمَّ يأتي ليخبرنا بكل المعلومات اللازمة فطلبت منه فنجان من القهوة وكذلك هو.

عشر دقائق مرت حتَّى عاد إلينا وهو يقول: دعني أشرح لكم الأمر بالتفصيل، أشرت له برأسي أن يبدأ كلامه و قد لاحظت أنَّه خلع ملابس العمل، نظر لنا وطلب منا أن نتبعه وأخبرنا بأن القهوة سوف تأتي لنا في ذلك المكان، سار أمامنا كمرشد سياحي حتَّى دخلنا حارة ضيقه ثمَّ أجلسنا في آخر تلك الحارة حتَّى لحقنا النادل الآخر بفناجين القهوة.

- دعني أخبركم بأمر هام أن مساعدتي لكم خالصة لوجه الله ليس لي أي مصلحة خصوصًا وأن الأستاذ محمد صديق قديم للمقهى، عم محمود ذلك العجوز هو أقدم ساكن في المنطقة عاصر الكثير والكثير، هو الشخص الوحيد الذي يتقبل منه الجميع أي شيء، صديق مقرب لأغلب نسور الله من مجاذيب الحسين لذلك حين قام للحديث معكم أخبرتكم ألا تقلقوا منه فهو رجل مبروك وذو علم.

رن جرس الهاتف الخاص بمحمد فقام على الفور بالرد عليه أمَّا أنا فنظرت إلى ذلك النادل الذي لم أعرف اِسمه حتَّى الآن، بنفاد صبر خرج الرد من بين شفتاي.

- ما لي و مال ذلك العجوز أريد معرفة خليل النسر وكيف ستكون مساعدته لنا كما قلت لي فليس لدي متسع من الوقت لمثل تلك المهاترات.

- خليل النسر لا نعرف عنه سوى اِسمه فقط، هو أغرب مجاذيب الأولياء، لا

يوجد مكان ثابت لتجده به، تكاثرت الأقاويل حوله حتَّى حاول بعضهم منعه من الدخول إلى مساجد آل البيت خاصة هنا في سيدنا الحسين لكن عم محمود كان يقف لهم بالمرصاد وما سمعت عنه أيضًا أنه دائم ملازمة القبور في أغلب الجنازات الغريبة، كرجل يدفنه شخص واحدًا فقط مع التربي أو سيدة يدفنها أبنائها فقط والكثير من القصص التي سمعنا عنها لكن لم نراه أو نشاهد تلك الأمور لذلك أبلغتكم عنها وخاصة بعد أن أبلغني صديقك بأنكم صحفيين لذلك لا تقلق فسوف تنال مرادك لكن أتبع فقط تعليمات عم محمود.

مر وقت قليل أتي فيه عم محمود وحده، تعجبت من الموقف كما تعجب محمد الذي ترك هاتفه على الفور متسائلًا بلهجة حازمة عن ذلك المجذوب ليبتسم لنا الرجل ابتسامة عريضة جعلت محمد يكاد أن يضربه إلَّا إنني أمسكت يده ثمَّ نظرت لذلك العجوز متسائلًا لماذا أخبرنا عن خليل النسر والآن يهربه، ضرب ذلك العجوز كفا على كف قائلًا أنَّه لم يهرب خليل وليس له مصلحة في أي شيء، لكن أن كنا نريد مرادنا فعلينا أن نقابل خليل النسر غدًا الساعة الثانية عشر منتصف الليل تمامًا في مقابر الفيوم على طريق الواحات إلى جانب أنه يجب علينا إحضار الطرف الثالث لمجموعتنا كما أخبره خليل، غادر الرجل بعد أن أنهى كلامه ثمَّ تبعه عامل المقهى.

- لا أصدق ما أسمع أو أرى لقد جن عقلي وتلك هي المرة الأولى التي أشعر بالخوف من شيء أنا مقدم عليه، هل سمعت ما قاله لي حين أتيت؟ الغريب في الأمر ذلك العجوز محمود يتصرف وكأنه أعلم بنا من أنفسنا، من أين أتى بتلك الثقة التي يتحدث بها؟

- أحمد لا تشغل بالك حاليًا دعنا نضع تركيزنا في ما هو آت، ألم تسمع حين طلب الطرف الثالث بالرغم من أننا لم نذكر أي شيء عن فاطمة أمامه!! يجب

علينا أن نذهب جميعًا غدًا، لقد كنت أتحدث معها قبل أن يأتي ذلك العجوز، فلا بد أن تكون على علم بكل شيء.

- لا أريد إقحامها في ذلك الأمر فالوضع لا يبشر بالخير، أنت لا تعلم من هي بالنسبة لي .

- أعلم كل هذا لكن نحن بصدد عمل مهم سوف يغير مجري حياتكم ، دعنا نذهب إلى منزلك فالوقت قد تأخر و يجب علينا نيل قسط من الراحة لنري ما سوف نفعله في ذلك الأمر .

ركبنا السيارة في طريقنا إلى المنزل حين رن جرس هاتفي ، كانت فاطمة علي الطرف الأخر فأخبرتها أن تأتي إلينا فور تلقيها مكالمتي صباحا لأمر هام ثم أغلقت الخط ، ركبنا السيارة في الاتجاه إلى منزلي و الأسئلة تدور في ذهني عن كلام ذلك المجذوب لي بجانب ذلك الحلم المفزع عن ما سوف نلاقيه و ما وضعت نفسي فيه من مأزق بسبب ذلك التحقيق الذي سيصبح بوابة عبوري لتعيين دائم في الجريدة ، أعترف أني هاوي للمغامرات و خوض التجارب الشيقة لكن حين عقدت العزم أن أخوض تلك التجربة لم أكن أعرف أنها سوف تقلب حياتي رأسًا على عقب إلى جانب تغيير حالتي النفسية ، لا أنكر شعوري بالخوف علي نفسي و علي من حولي لكن تلك المغامرة ما هي ألا تحدي جديد و يجب أن أخوضه .

عندما وصلنا إلى المنزل دخلت مسرعا إلى غرفة مكتبي يتبعني محمد الذي دخل إلى الحمام المقابل إلى المكتب، أضأت الغرفة حتَّى بدا لي كل شيء طبيعيًّا، جلست على كرسي مكتبي وأنا أتأمل ذلك الحائط المليء بقصاصات الأخبار والأوراق الخاصة بالملاحظات، أتذكر جيدًا ما كنت عليه حبي للمغامرة وعشقي للصحافة، دخل محمد علي وهو مبتسم قائلًا أنه يتنبأ بمغامرة مليئة بالإثارة والتشويق، لم أنتبه إلى كلماته حتَّى نظر إلى الحائط وهو يقول:

- أحمد أين تلك الورقة التي رسمت عليها حلمك في الصباح لا أراها!!

نهضت مسرعًا أبحث عنها حتَّى وجدتها خلف ورقة قد علقتها أمس، نظر محمد إلى الورقة ثمَّ ضحك وأخبرني أني صحفي فاشل فلقد أصبحت الصورة التي رسمها بعناية فائقة شبه باهتة بسبب شرائي لأدواتي المكتبية الرخيصة على حد قوله، ابتسمت له ظاهريًّا على كلامه حتَّى لا أثير قلقه، أمَّا من قرارة نفسي شعرت بقلق؛ لأن تلك الورقة قد علقتها بعد الرسم مباشرة في مكان ظاهرًا على الحائط إلى جانب أنَّه مستحيل تكون الأدوات هي السبب في ذلك ولهذا لم أعلق على ذلك الأمر ولكني تيقنت أني مقدم على مغامرة اِنتحارية.

تلك الليلة لم أذق بها طعم النوم أبدًا كل ما يدور في ذهني هو كلام ذلك المجذوب فقد شغل حيز كبير من تفكيري، كعادتي أمسكت الهاتف لسماع صوتها أعلم أنَّها واجهت معي الكثير وتحملتني في أحلك أزماتي مع حبي الشديد لها تكون معاملتي معها قاسية بعض الشيء لكني أحبها حقًا فهي كل ما أملك فالدنيا، لقد ولدت ولا أعرف من هم أبواي وترعرعت في دار لرعاية الأيتام ثمَّ واجهت الحياة بقسوتها حتَّى أكرمني ربي وبوالديك اللذان ساعداني حتَّى وجدت أن لي أهل وميراث لا بأس به مهما تكلمت لن أوفي حقك، تلك المرة ليست كسابقها فقلبي وعقلي غير مطمئنين لما سوف نلاقيه خاصة تلك الصورة لك في ذلك الحلم المزعج يخيفني عليك أكثر، لا مفر من إذن من الاتصال.

- فاطمة، أعلم أنك الوقت متأخر للكلام كل ما أريد أن أقوله لك أني أحبك.

لم أعطها فرصة للحديث وأغلقت الخط، حاولت الاتصال بي أكثر من خمس مرات لكني لم أجب عليها، شعور متضارب من الخوف والرهبة، قلق أم حذر لا أعلم، كل ما أعرفه هو أنني قادم على عمل لا هروب منه.

***

(2)

الخميس – الثانية عشرة ظهرًا.

منزل أحمد:

دق جرس الباب كثيراً ثمَّ أعقبه صوت هاتفي ومن بعده هاتف محمد، قطعًا هي فاطمة، قمت من نومي على الفور دون التفكير فيما أنا عليه، فتحت لها الباب فضحكت بشدة من هيئتي العجيبة، جلست على أقرب كرسي بالصالة فاستأذنتها لأبدل ملابسي، دلفت إلى داخل الغرفة لكي أوقظ محمد من نومه وعلى الفور قام من سرير في حركة استعراضية حمقاء أثارت ضحكي، بعد أن أبدلت ملابسي وعدلت من هندامي خرجت من الغرفة إلى الصالة، كانت تنظر لي نظرة سؤال مبهمة لكن لم يسعفنا الوقت للاستفسار عن سبب تلك النظرة لخروج محمد بعدي مباشرة.

- أسمعوني جيدًا، ليلة أمس قابلنا المجذوب خليل النسر لكنه لمْ يعطني الفرصة لكي أتكلم معه أو حتَّى لأخبره بهويتنا وما نريده منه حتَّى بادرني بقوله أنهم في انتظارنا، من هم وماذا يريدون؟ لا أعلم لذلك قررت اليوم أن أذهب إلى المكان المتفق عليه بمقابر الفيوم على طريق الواحات الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل، لكن هناك شيء ما أنت سمعته جيدًا ولم تتسائل عن السر، أنه يريد ثلاثتنا، أعلم أن الأمر صعب ولكم الخيار أمَّا قبول تلك المغامرة أو رفضها في كلتا الحالتين لن نخسر شيء.

- أحمد لما الحدة في حديثك معي، تعلم جيدًا أني معك في أي شيء قلبًا وقالبًا

لكن الغريب في الأمر ومما يثير دهشتي هو طلبه مقابلتنا في مقابر الفيوم وفي وقت متأخر كهذا ألَّا يثير ذلك الريبة والشك؟

تدخل محمد ليمنع تطور الأمر حتَّى لا يفقد أحدنا أعصابه جراء ذلك التوتر الذي خُيِّمَ علينا جميعًا.

- فاطمة يجب عليك أن تعذريه فأعصابه متعبة جدًا وأنا أعلم السبب، وأنت يجب عليك أن تعلم أني مستعد للمخاطر من أجلكما وكما تعودنا، لذلك أنت تعلم جيدًا أني معك أمًّا بخصوص مكان المقابلة فهو غريب جدًا لكن لا بد أن وراء ذلك الأمر هدف أو غاية يريد إيصالها إلينا.

- أعلم كل هذا لكن ليس باليد حيلة، أنا قلق أكثر منكم وأشعر بعدم ارتياح لكن ما دمنا متفقين على المبدأ إذن فلنبدأ، لكن أخبريني يا فاطمة ما سوف تخبري به والديك كحجة للغياب خاصة أن الميعاد متأخر؟

- لا تقلق سوف أخبرهم بمبيتي عند صديقتي، كل ما أريده منك أن تطمئن على الرغم من غضبي الشديد من غرابة تعاملك معي تلك الأيام لكني أحبك ومعك في كل لحظة.

نظر لنا محمد وهو يحرك رأسه ببلاهة بينما يردد:

- و من الحب ما قتل، دعي العتاب الآن فبعد أن ننتهي سوف نلقنه درسًا قاسيًا حتَّى لا يغضبك مرة أخرى.

ضحكنا جميعا وأخذت الجلسة مسار المزاح وتذكر مغامراتنا القديمة سويًّا وما لاقيناه حتَّى أخبرها محمد عن ذلك الحلم بقصد المزاح، تغير وجهي ثمَّ أخبرتهم بضرورة الاستعداد فسوف نتقابل العاشرة مساءً للذهاب إلى المقابر.

***

"ما بين الواقع والخيال تاهت روحي، أصبحت كخزانة خاوية نفد منها كل شيء ما عدا ذلك البريق الذي يلمع بداخلي، لايزال جسدي صامد في ظل المواجهات النفسية، أحافظ على ما تبقى من عقلي، حلم قلب كياني وهز حواسي كلها، الخوف من المستقبل هو ما يقلقني لا على نفسي وإنما على رفيقي وحبيبتي".

" ها قد بدأت الرحلة".

الفصل الرابع

(1)

الجمعة – الثانية عشرة منتصف الليل.

مقابر الفيوم على طريق الواحات:

بعد أن ركبنا السيارة متجهين صوب المكان المتفق عليه بدا علينا جميعا التوتر من تلك الرحلة، ساده الصمت لبعض الوقت حتَّى قطعته فاطمة بمزاح خفيف تلاها محمد بإحدى دعاباته السخيفة، الطريق طبيعي جدًا لا يوحي بتلك الصورة التي رسمتها له بمخيلتي، طريق ممهد وإضاءة على الجانبين حتَّى بدأنا الخروج من مدينة السادس من أكتوبر إلى طريق الواحات ذلك الطريق المؤدي إلى مقابر الفيوم عندها تغير الحال بالفعل.

بدا لنا الظلام دامس في ذلك الطريق خلافًا للمسافة التي قطعناها، لا وجود لنجمة واحدة قد تهديك في الطريق وكأن الكون كله قد أصبح قبرٌ كبير، الظلام يزعجني بعض الشيء لذا أقود وأنا متوجس خيفة، أمسكت فاطمة بيدي تطمئني مع العلم بأن من المفترض أن أطمئنها أنا وليست هي لكن دائمًا تكون هي السباقة في كل شيء.

قدت السيارة لمسافة عشرة كيلو متر حيث الصحراء الموحشة بمنظرها الكئيب، حتَّى بدأنا في الدخول إلى طريق على جانبيه نخل كثير وضوء خافت لاح لي في أخره.

نظر محمد متفحصًا وهو يقول:

- غالبًا ذلك الضوء هو خليل النسر وتلك بداية طريق المقابر.

أبطئت سرعة السيارة عندما وصلنا قرب ذلك الضوء ليتضح لي أنه بالفعل هو، أوقفت السيارة على جانب الطريق الممتلئ بالنخل، خرجت من السيارة لأجد بجانبي فاطمة التي تمسكت بيدي بينما يسبقني بخطوة محمد الذي قام بمحاولة فاشلة للحديث معه إلَّا أنَّه سار أمامنا وهو يقول:

- بدأت الرحلة، سأجيبكم بمجرد أن نصل أول مقبرة فلا تتفرقوا حتَّى لا تتوهوا، من يفلت يد الآخر سوف يبقى هنا للأبد.

اِلتفت إلى فاطمة ثمَّ أبتسم مِمَّا زاد تمسكها بيدي ليحدثها قائلًا:

- ستصبحين كفة الميزان فلا تميلي واعتدلي.

تابعنا السير إلى أن وصلنا أول مقبرة بينما الطريق مظلم للغاية ولا نكاد نرى حتَّى بمساعدة كشافات هواتفنا، هنا التفت لنا مبتسمًا على غير العادة.

- قبل الدخول لا بد أن تعلموا أن لا سبيل إلى العودة قبل أن تنهوا ما بدأتموه، لكم مني ثلاثة أسئلة فقط قبل أن نكمل الطريق سؤال لكل واحد فيكم.

ساد الصمت بيننا للحظات، صمت ونظرات حائرة وسكون المقابر المخيف، كل هذا ظل لدقائق حتَّى قطعت أنا ذلك الصمت.

- لم تسنح الفرصة لي للحديث معك وتعجبت من لهجتك في الحديث معي حين رأيتني وتلك كانت أول مرة أراك بها، هل تستطيع أن توضح لي ما سر ذلك الكلام وكيف تعرف ما نريد؟

رأيت في عينيه نظرة محيرة جعلتني أقف متسمرًا في مكاني حتَّى بادرني بحركة عجيبة من تلك التي يقوم بها الدراويش والمجاذيب وهو يقول:

- هم من أخبروني عنكم، كانوا في انتظاركم، ثلاث شباب منهم فتاة حسناء، قلوبهم مختلفة منها الصالح ومنها الطالح، من هنا تكون البداية لرحلة قد تغير حياتكم وربما مصيركم، لا رجوع منها ولا مفر فاستعدوا جيدًا.

نظرت له فاطمة بعد صمت ساد لثواني معدودة قطعه محمد بسؤال رأيت فيه الغرابة:

- من يحمل الضغينة لمن؟

نظر له المجذوب مؤكدًا على كلامه بأن الغيب من عند الله لكن بعد دقائق أو ساعات سوف يكشف المستور وتلك هي المرة الثانية التي يكرر فيها تلك المقولة، اِلتفت إلى فاطمة وأخبرها أن السؤال الثالث لها وبأنه يعرفه قبل أن تتلفظ به: ما دورها و لماذا طلبها بالتحديد إلى جانب مقولته إنها كفة ميزان!، أومأت برأسها موافقة بينما علامات الخوف بدت واضحة جلية على وجهها خاصة حينما اِقترب منها وأخبرها بصوت أشبه بالهمس نكاد نسمعه بصعوبة بالغة وهو يقول بأن الملائكة لا يبقون في الأرض إلى الأبد لكنهم يتركون من يكون طاهر القلب والنفس ليكون علامة وبصمة عليهم، لذلك وجب عليها أن تكون كالميزان ولا تغتال حتَّى لا تفقد صفة الطهارة ومن ثمَّ تعامل معاملتهم أو تكون ضحية.

تشبثت بيدي كطفلة صغيرة والآخر واقف كالصخرة الصماء لا حراك، نظرت له نظرة ربما لتطمئنه بعيدًا عن كلام ذلك الشخص العجيب، بينما يدور في عقلي سؤال كيف لمجذوب أن يتكلم بتلك الطريقة كأنه إنسان طبيعي يعي ما يقوله ويعرف مع من يتكلم، سار أمامنا في طريق طويل تحيطه المقابر من كل اتجاه، كلما تحركنا زادت نبضات قلبي وتسارعت في خوف لكني فضلت أن أتماسك من أجلها.

سألته إلى أين يأخذنا فلم يجب حتَّى وصلنا إلى منتصف طريق المقابر، مكان مألوف لي بالفعل، بيت قديم يحيطه سور من جوانبه وبوابة حديدية، وقف عند

الباب ينظر لنا وهو يخاطبنا، أخبرنا بأن ذلك هو منزل الشيخ مبروك العارف، هذا الرجل هو سر ذلك المكان ومفتاح إجاباتنا، طلب منا الانتظار حتَّى يأخذ الإذن بالدخول، مر أكثر من عشر دقائق حتَّى شاهدناه يلوح لنا من باب المنزل، فتح محمد الباب الذي أصدر صوت مزعجًا لندخل واحدًا تلو الآخر يتقدمنا محمد إلى داخل الفناء، حين وقف كنت أنا من خلفه بجانبي فاطمة.

نعم أنه ذلك المنزل الموجود بالحلم، تلك الحديقة الجرداء وتلك الفتحة في الجدار الغربي، نظر لي محمد متعجبًا.

- يبدو أننا نعيش تفاصيل حلمك فلنستعد جيدًا.

- من الواضح ذلك.

هكذا أجبته لتنظر لنا فاطمة مستفسرة عن تلك الكلمات التي تفوهنا بها فلم ننتبه لها حتَّى وجدنا أنفسنا نصعد أولى درجات سلم المنزل.

دلفنا إلى المنزل ذو الجدران القديمة، بعض المصابيح المعلقة منحتنا إضاءة خافتة، كان واقفًا في منتصف الردهة، رجل ضخم الجثة ذو لحية بيضاء ووجه عابس ربما لا تعرف الابتسامة له طريق، بيده مسبحة كبيرة بينما تتصاعد رائحة البخور من كل مكان، لم يتفوه بأي كلمة حتَّى أشار إلينا بأن نتبعه إلى داخل المنزل فتحركنا كأننا منومين مغناطيسيا ليس بأيدينا حيلة إلَّا طاعته، رأيت المجذوب يقف في أحد الأركان ساكنًا لا يتحرك مِمَّا آثار تعجبي أنا ومن معي، حين نزلنا إلى بدروم المنزل وجدناه وكأنه ساحة ضخمة من المقابر المخفية عن الأعين، لم أنتبه إلى من حولي فقد كانت عيناي تجوب أرجاء المكان متفحصة إياه، الجدران سميكة جدًا منقوش عليها رسومات ورموز غير مفهومة، فقدت تركيزي عندما صرخت فاطمة حين رأت فأر كبير الحجم يركض من بين قدميها لأنتبه إلى أن المجذوب يغلق باب السرداب من خلفنا ثمَّ ينزوي مجددًا في أحد الأركان.

نظر لنا الرجل بعد أن وصل إلى آخر ذلك المكان ثمَّ جلس على كرسي خشبي ضخم وأمرنا بالجلوس، بعدما جلسنا انتهيت من تفحص ما حولي نظرت إلى وجه فاطمة الذي ما زال يعتريه الذهول إلى جانب محمد الذي ظل ينظر إلى الشيخ في تحد واضح بينما خليل النسر واقف في تلك الزاوية لا يتحرك.

- كنت في انتظاركم ثلاثة وجوه شابة أمامي بثلاثة قلوب مختلفة، أحدهم يحمل الخير والآخر يحمل الضغينة والآخر يحمل من الألم ما لا يستطيع بشر تحمله، اجتمعوا على حب المغامرة وذلك الفضول القاتل الذي قد يؤدي بحياتهم إلى الهاوية، أخبروني عنكم وعن طلبكم، لكن لا بد لكم أن تعلموا أنه أمر غاية في الخطورة أن تكونوا راقصي قبور من أجل مجد زائف.

و كأن خليل النسر يتكلم بنفس الكلمات لكن التعبير مختلف هذا ما شعرت به حين تحدث الشيخ، في ذهول تام ساد الصمت لعدة دقائق بيننا قطعه محمد متعجبًا.

- راقصي القبور!!

- نعم راقصي القبور ذلك هو المسمى لمن يريد أن يجتاز عالم الأموات في المقابر وغالبًا ما يكونوا من السحرة و الدجالين، أغلبهم نفوس مريضة كل ما تريده هو الشر بعينه لذلك لم ينجوا منهم أحد و من نجا منهم كانت ميتتهم بشعة، لكن في حالتكم تلك بقلوب مغامرة ومختلفة سوف يتحدد مصيركم بأعمالكم، لذلك أحذروا من أنفسكم وما تحمل في طياتها.

- يا شيخ نحن لا نريد كل ما قلته، سوف أعرض عليك الأمر بالتفصيل.....

قاطعني الشيخ مبروك بحزمٍ جعل فاطمة تنتفض من مكانها.

- قلت لك أني أعلم من أنتم وأعلم ما تريدونه، شباب في مقتبل العمر قرر أن يخوض تجربة عجز الكبار والحكماء عن الخوض فيها واكتفوا بالمسلمات، تلك

هي رحلة المصير أمَّا أن تجتازوها أو تعلقوا في ظلامها إلى أن يحين الأجل، لا أحب تكرار الكلام أتمنى أن تكونوا قد فهمتم، أمَّا الآن فقد حان الوقت لمعرفة ما أنتم مقدمون عليه.

قام الشيخ من مجلسه قاصدًا ذلك الصندوق الضخم الموجود بجانب كرسيه، حين فتحه خرجت منه رائحة عطنة اِشمئز منها الجميع حتَّى كادت فاطمة أن تتقيأ، أخرج رقعة كبيرة من الواضح أنه جلد حيوان ميت، لم أميز المكتوب عليه حتَّى وقف في المنتصف طالبًا منا أن ننظر فيها جيدًا، نظرت له فاطمة مشمئزة وهي تتسائل عن هذا الشيء وتلك الرائحة؟

نظرت لها وقد زادت ضربات قلبي خوفًا عليها، لا أخفي سرًا فالأمر أصبح مقلقًا ومحمد بجانبي لا يتحرك وكأن هناك ما يشغل تفكيره، جلس الشيخ على ذلك الكرسي الخشبي الضخم ثمَّ ألقى بتلك الفافة على الأرض.

- ما تريدونه سوف تجدوه في عالمًا موازيًا لنا ليس كالحياة أو البرزخ بل هو عالم الأرواح الضالة والضائعة عالم أسود مكون من فراغ كبير يوجد به من الأرواح ما هو طيب ما هو خبيث فاحذروهم، ستجدونهم متناثرين على الطرقات ينتظرون النجدة أو الدليل، بشر مثلكم لكنهم أرواح في عالمنا، عالم الخطأ فيه غير مسموح لذلك وجب عليكم اِتباع قوانين العهد حتَّى تكون رحلتكم سالمة، ذلك العهد هو الضمان الوحيد لأرواحكم فبمخالفته سوف تتوهوا في غياهب ذلك العالم وتقعون فريسة للشر وإن رجعتم لا أجزم إلَّا بشيء واحد ألا وهو موته لن تتمنوها أبدًا، خذوا ما شئتم من معلومات فإذا وجدتم باب النور قد فتح فاهربوا إليه مسرعين، تلك الرحلة مدتها ساعة لكن بداخل العالم سوف تشعروا بأنكم قضيتم دهرًا كاملًا، هل أنتم مستعدون؟

قام محمد في غضب واضح على قسمات وجهه متحدثًا ببعض الكلمات غير

المفهومة ويأمرنا بالنهوض فقد اِكتفى من تلك اللعبة الحمقاء، سار حتَّى وصل إلى الباب، حاول فتحه لكنه فشل فثار ثورة عارمة حتَّى نظر حوله وهو يصرخ.

- كفي هذا الهراء وافتح ذلك الباب، أين ذلك المجذوب، ألم يكن واقفًا هنا في ذلك الركن ؟، نظرت إلى فاطمة متعجبًا بالفعل لم يكن خليل موجود إذن أين هو؟، نظر الشيخ إلى محمد وهو يخبره أن بوجوده هنا لا رجوع ولا هروب يجب عليه الإنصات جيدًا حين يتلى العهد.

اِلتقط تلك اللفافة من الأرض وأعطاها لي قائلًا:

- أتلوا عليهم ما هو مكتوب بعد أن تقرأه جيدًا وقع بدمك عليها حتَّى تبدأ الرحلة.

لم أفهم ما يقوله لكني اِلتقطت تلك الورقة منه وبدأت في قرأتها.

***

(2)

ميثاق عهد

الموت هو البوابة للعبور إلى العالم الآخر، ذلك العالم الذي لا نعلم عنه سوى ما ذكر في الكتب السماوية.

ميثاقنا هو ميثاق شرف لكل من أراد اِنتشال تلك الأرواح الضائعة في ذلك العالم الموازي المسمى بعالم الظلام وهذا هو العهد لمن يريدون ذلك، ميثاق راقصي القبور الذين تحدوا الطبيعة وأرادوا التوغل في عالم الظلام بحثًا عن سر قد ينقذ صاحبه أو يرشد تلك الأرواح إلى مكانها الطبيعي لتستكين في قبورها.

إن كنت ترى في نفسك القدرة على التمسك بالقوانين وحفظ روحك من براثن الفتن فإليك تلك القوانين:

* الثبات على ما أنت عليه مهما كانت المغريات.

* اتبعوا الصوت حين يتكلم ولا تتحدثوا معه.

* لا تقرب من البراق أو اللامع فربما يكون بريق خداع أو لعنة تلقي بك للهلاك.

* لا تقرأ من حوائط الظلام حتَّى لا تصيبك لعنتهم فلا تعلم من كتبها.

* لا تصاب بأي أذى فكل ما تصاب به سيظل معك للأبد.

* لا تلتفت ورائك حين تسير فيبتلعك الظلام وتظل روحك معلقة.

* لا تحاكموا أو تحاكموا فالحكم للحاكم وليس لكم إلَّا وضع تلك الأرواح في موضعها فقط.

* لكم من الضائعون خمسة فأغتنموهم ولا تجعلوهم يغتنموكم.

* اِحذروا صوت الفتنة واحذروا أن تكونوا أحد مفاتيح الشر لبوابتها.

* يد واحدة تنجوا بحياتكم أمَّا التفرقة تلقي بكم لهوة سحيقة سوف تبتلعكم.

* إن قادتك الظروف للحرب، فكن محاربًا شجاعًا لتحافظ على حياتك.

ذلك ميثاقنا وعهدنا فإن وافقت عليه وقعها بدمائك ولتستعد للرحلة الكبرى، وإن خالفتها فمصيرك محتوم وقدرك مكتوب ولا لوم ألَّا على نفسك حتَّى لا تكون سبب لخروج من لا نتمنى رؤيتهم.

اِبتسم الشيخ بعد أن أنهيت قراءة تلك الورقة العجيبة، لمْ أرَ فيها سوى كلام ربما كان نسيج عقله الغامض، نظرت في أعين من حولي فرأيت فاطمة في حالة سكون تام أمَّا مُحَمَّد فمن الواضح أن ثورته لم تهدأ بعد، قطع الشيخ الصمت حين طلب رأينا في ذلك الميثاق، طلبت منه أن يمهلنا بعض الوقت حتَّى يتثني لنا أخذ القرار الصائب نظر لنا ثمَّ أشار بيده أن ندخل إحدى الغرف الموجودة والتي لم نلاحظها عند دخولنا.

دلفنا إلى تلك الغرفة الضيقة ذات الجدران المتنسخة التي ملأها العنكبوت بيوتًا وجعلها أشبه ما يكون بالقبر من الداخل، نظرت لهم أحدثهم عن ذلك الميثاق وعن قراري بخوض تلك التجربة التي لا مفر منها.

- بعد كل ما رأيته هنا أجزم أن ذلك هو الكابوس الذي طالما حلمت به الأيام الماضية، لذلك قررت خوض تلك الرحلة لمعرفة حقيقة ذلك الشيخ الجالس بالخارج.

نظرت فاطمة لي وهي تقول:

- ليس الآن وقت العتاب أو اللوم لذلك سوف أخوضها معك فلن أتركك في ذلك الموقف، لكنني أشعر بخطر شديد.

نظر لنا محمد متهجمًا وقد اِحمر وجهه من الغضب قائلًا:

- الوقت ليس مناسبًا للعواطف والمشاعر الجياشة، نحن أمام كارثة حقيقية، لا أعلم ماهية ذلك الرجل ولما تتسارع وتيرة الأحداث بهذا الشكل، كل ما أعرفه أنَّه لا مفر من ذلك لهذا يجب علينا أن نتحد وألَّا ننصت لذلك العجوز الخرف فكل ما سوف نلاقيه هو مجهول لا نعلم ماهيته.

- لا أعلم ما بك يا محمد حتَّى تتحدث بتلك الطريقة معها في وجودي، اِفعل ما شئت نحن سنكمل الطريق إلى نهايته، وقرارك لا دخل لي فيه فليس بيدي لقد تركت لك الأمر و.....

قاطعنا صوت ذلك الارتطام الشديد المصاحب بهزة أرضية بعدها سمعنا صوت الشيخ مبروك يقول:

- أمَّا آن الوقت لتحديد القرار؟

خرجنا جميعًا من تلك الغرفة فأمسكت بالورقة ناظرًا إليه، ابتسم فأخبرته بموافقتنا، اِلتقط سكينًا صغيرًا وأعطاه لي، جرحت يدي وأسقطت قطرات من دمي كتوقيع لي على ذلك الميثاق ومن خلفي فاطمة ومحمد، اِهتزت الأرض مرة أخرى حتَّى ظهر دخان كثيف جعل فاطمة تتشبث بي بقوة حتَّى سقطنا جميعًا مغشيًّا علينا.

***

(3)

كطفل صغير كان تفكيري ينصب على حياة طبيعية بعيدة عن تلك الحياة التي عشتها في الملجأ الذي كان يجمع أكثر من ثلاثون طفلًا و طفلة لا يعرفون حقيقتهم ما بين يتيم ولقيط مكان لا أستطيع وصف جدرانه ومبانيه سوى بالكآبة والضيق، كنت أتمنى حياة بسيطة هادئة يسودها الحب وسط عائلة صغيرة.

لم أعرف سواه أخًا وصديقًا وفيًا عشنا معًا في أغلب أيامنا نبحث فقط عن حياة كريمة تجلب السعادة الحقيقية لقلوبنا، تفوقنا الدراسي أرغم الجميع على اِحترامنا لكن ما زالت عقدة اليتم تطاردنا حتَّى في طفولتنا حيث كان يرفض الكثير من أطفال المدرسة اللعب معنا أو مشاركتنا في أي شيء، كانوا يلقبوننا بالعقل والعضلات لذكائنا وقوتنا لكني كنت أرى أن محمد دائم اِستخدام قوته بطريقة مفرطة قد سببت له بعض المشاكل، مر وقت ليس بالقليل حتَّى علمت صدفة من أخصائي الدار بأن لي أهل يبحثون عني، صدفة كالتي تحدث في الأفلام القديمة، مراهق على مشارف الثانوية سوف يطرد حين يتم السادسة عشر عامًا من الدار إلى غابة البشرية الموحشة ساقه القدر إلى وجهة أخرى ليجد بأن له عائلة وميراث من والده المتوفي، حين رحلت من الدار صممت على أن أصطحب معي صديق الطفولة وأخي الذي لمْ يكنْ لدي سواه، بعد عناء واضح وافقوا بعد أن قبضوا من المال الكثير لتسهيل الأمر، عشنا حياتنا تحت نعيم زائل لم نشعر به إلَّا حين بدأت أموالي تنفذ ليبدأ الأهل الزائفين في التخلي عنا، لكننا لمْ نستسلم وظل الأمل في قلوبنا إلى أن بقينا على ما نحن عليه الآن، أمَّا هو على الرغم من بعض تصرفاته الغير مسئولة وأنانيته المفرطة في بعض الأحيان لكنه كان يتمتع بقلب طفل صغير فمحمد كان و لا يزال أخي الذي ساقه القدر لي.

***

(4)

اِستيقظنا في تلك الأرض القاحلة ذات الظلام الدامس وكأنما ألقينا في أحد أودية الصحراء في وقت السماء تفتقر فيه إلى نجومها، أمسكت بيد فاطمة حتَّى نهضت وهي تنفض ملابسها، رأيت محمد من خلفها ينهض بطريقته الاستعراضية، نظرت لهم متسائلًا عن الخطوات التالية فضحك بشدة ثمَّ نظر لي قائلًا:

- من المفترض أنك قائد المجموعة لذلك وجب عليك إرشادنا.

- نستكشف ذلك المكان بأثره لحين أن نجد ضالتنا، تذكروا كلام الشيخ لا تنظروا ورائكم فالظلام قد يبتلعنا، دعونا نسير على خطوات العهد حتَّى تنتهي تلك الرحلة بسلام.

بدأت أعيننا في اِستكشاف المكان إلى أن سمعنا بعض الأصوات الخافتة فأمسكت يد فاطمة قويًّا إلى جانب محمد الذي ظل يلتفت يمينًا ويسارًا، حتَّى سمعنا أصوات ركض خلفنا، في ثوان معدودة كنا نركض إلى الأمام بينما الطريق لا ينتهي، نركض غير مهتمين سوى لمواضع أقدامنا، سقطت فاطمة أرضًا خلفي ببضع خطوات فرجعت لها أساعدها على النهوض من جديد لنعاود الركض بسرعة مرة أخرى لكن أين محمد لا أراه، ذلك الظلام ما زال يسير بخطى سريعة للغاية، هناك من يهمس لنا خيال لا نلمحه لكن من الواضح أنه ضخم للغاية حين اقتربنا منه رأيت ما هالني، شخص ضخم الجثة قوي البنيان ذو شارب كثيف يرتدي بذلة فخمة معلقًا بها ساعة ذات سلسلة ذهبية، جذبني أنا و فاطمة بقوة حتَّى

أدخلنا بيت خشبي متهالك وأغلق الباب علينا ثمَّ أضاء ذلك المصباح لينير البيت ذو الأثاث القديم المتهالك.

نظرت له فاطمة في رعب شديد وهي تقول:

- من أنت وماذا تريد؟ نريد أن نلحق بصديقنا لقد قال لنا الشيخ ألَّا نفترق.

- كنت على يقين أني سوف أجدكم فلقد أخبرنا بمجيئكم قبل أن يختفي.

لم يعد أي شيء يدهشني فكل ما أنا فيه بالتأكيد ليس محض صدفة، كل خوفي عليها فنظراتها تقتلني أكاد أجزم أن قلبي يعتصره الألم بسببها، قطع صوت تفكيري وأنا أنظر إليها بصوته الأجش وهو يخرج غليونه الذهبي ويقوم بإشعاله قائلًا:

- نية صادقة إلى جانب قلب سليم سوف تنجينا مِمَّا نحن فيه ثمَّ تنجوا مِمَّا أنت فيه.

هنا ساد الصمت والسكون استعدادًا لما سوف يحدث تباعًا.

***

"نولد صغارًا لا نحمل من هموم الدنيا شيء، يمر بنا العمر حتَّى نصل إلى مرحلة الشباب إما تكون أو لا تكون، تغلب عليك طباعك أيًّا كانت فأغلبنا كل ما يريده هو النفوذ والسلطة، حين نحصل عليها نحدد ما سوف نسير عليه أمَّا أن نفرح أو نندم أشد الندم، لذلك نقول يا ليت الشباب يعود يومًا فلا يوجد من يعجبه حاله".

"اِسمعوا قصتي وأنصتوا جيدًا تلك هي فرصتي وتلك هي ذنوبي لم أكفر عنها حتَّى صرت تائه الدرب، أتعلموا ما هو الغريب أنِّي لا أشعر بالذنب فمنذ أن تركت تلك الحياة كل ما أريده أن أرتاح فقط، أن أترك تلك الفجوة وأذهب إلى مستقري، حكايتي ليست للعظة والعبرة بل هي لنجاتكم من تلك الرحلة وأنا أولها".

الفصل الخامس

(1)

القاهرة.

الثالثة بعد منتصف الليل عام 1940.

قصر عزيز باشا عثمان:

قصر فخم على غرار القصور العلويَّة، بهو واسع يحوي أفخر الأثاث الذي تم اِستيراده من الخارج خصيصًا إلى جانب العديد من تلك التحف واللوحات الثمينة التي تزين المكان، حركة غير عادية بالقصر الكل في حالة ترقب و انتظار، يتحرك الخدم بسرعة غير معتادة على إيقاع صرخات اِمرأة ما بإحدى الغرف، تدخل تلك السيدة الكبيرة أم محمود مسرعة بجانبها إحدى الخادمات التي طالبتها بسرعة الحركة، صعدت درجات السلم حتَّى قابلها عزيز باشا، رجل جامد الملامح متوسط الطول رفيع البنية قسمات وجهه لا تعرف للابتسامة عنوان، قاسي القلب والطباع ، ذلك السوط السوداني الصنع لا يفارق يده، شخصية عملية لأقصى الحدود، كل شيء يقوم به لا بد وأن يدر عليه الكثير من الأموال حتَّى شكك بعضهم في نزاهته الشخصية، أشغاله وأعماله كان يفضلها عن حياته الشخصية على الرغم من أنَّه لم يرزق بأي طفل من زوجاته السابقات اللواتي فضلن أن ينفصلوا عنه إلَّا تلك الشابة سعاد صاحبة الأربعة وعشرون عامًا، تلك التي أقسم الجميع بجمالها وأدبها وحسبها المعروف والتي قبلت بالزواج منه على الرغم من ما سمعته عنه،

ظل يوبخ أم محمود لتأخرها على زوجته حتَّى غزى العرق قسمات وجهها ثمَّ أمرها بالدخول بعد أن تصاعدت صرخات تلك السيدة من الغرفة، بعد أن دلفت إلى الداخل مر أكثر من ساعة حتَّى خرجت وهي تحمل المولود بين يديها لكنها منكسة الرأس فسألها عن سبب ذلك فأخبرته أن الزوجة قد توفيت أثناء الولادة، لم يهتم بما سمعه واكتفى بأن حمل المولود بين يديه وهو يقول: نائل عزيز عثمان، خرجت بعض الخادمات يبكوا سيدتهم فصرخ فيهم يأمرهم بعدم البكاء وأمرهم بالاستعداد لمراسم الدفن، مع نسمات الصباح كانت مراسم الدفن قد تمت وتقبل العزاء في صوان ضخم ضم الكثير من أكابر العائلات والمعزيين لعثمان باشا، بعد أن أنهى العزاء دلف إلى داخل إحدى الغرف في القصر وأحكم إغلاق بابها جلس على أحد المقاعد الموجودة ثمَّ انتابته نوبة بكاء شديدة حزنًا على تلك الإنسانة التي تحملته وأحبته رغم قسوة طباعه، من يعرف عزيز عثمان يعرف معنى القلب القاسي المتحجر فيه، لذلك قرر أن يربي طفله نائل على تلك الطباع حتَّى لا يصبح فريسة لأحد ويقع في براثن الضعف واللين.

عاش نائل طفلًا مدللًا حتَّى بلغ الخامسة من عمره، دخل المدرسة الداخلية بمدينة الإسكندرية بناء على رغبة والده الذي كان يصطحبه في الأجازات الرسمية إلى مزارعه ومصانعه التي يملكها التي تحدث كثيراً معه بشأنها، كان يرى في والده الحزم والقسوة وفي بعض الأحيان العنف مع كل من يتعامل معهم، كطفل صغير من الطبيعي أن يحب اللهو واللعب في أحد المرات كان يجلس مع والده في المزرعة فرأى أطفال تلك القرية يلعبون فخرج للعب معهم وغاب لمدة لا تقل عن ساعة حتَّى لاحظ والده غيابه فخرج للبحث عنه حتَّى وجده فشده بقسوة إلى مكتبه ثمَّ دلفا إلى الداخل بعد أن أوصد أبوابه ثمَّ انهال عليه بالكرباج حتَّى كاد أن يموت في يده، أصبح الطفل يخشى والده وقسوته، كطفل صغير ظل يلح على والده في السؤال عن والدته وعن أقاربه حتَّى صدمه رد فعله معه حين أبلغه بوفاة والدته وذلك كان كفيلًا بتدمير نفسية طفل صغير أمَّا عن أقاربه فطلب منه عدم الحديث عنهم مرة أخرى.

بلغ نائل العاشرة من عمره، أصبح سلوكه عنيفًا مع زملائه بالمدرسة حتَّى كاد أن يقتل زميله من الضرب المبرح نتيجة شجار حدث بينهم، بعد أن جاء والده وعلم بما فعله نجله في زميله الذي يرقد في المستشفي، بعد محاولات الصلح مع أهله حتَّى نجح في ذلك إضافة إلى شكوى مدرسية من سلوكه العدواني مع كل من حوله صمم على أن يصطحبه معه وأن ينهي فترة تعليمه في تلك المدرسة، ركبا السيارة وفي الطريق ظل يوبخه ويعنفه على ما فعله وقرر أن ينهي حياته التعليمية بالكامل وأن تكون دراسته منزلية.

ظل نائل حبيس سلطة أبيه حتَّى أتم الثامنة عشر عامًا، أصبح معروفًا كأبيه في الشدة والحزم لكن ما كان يفرقه عنه هو تحكيمه لعقله وقلبه في بعض الأمور، بدأ في التمرد والشجار مع والده الذي لم يعد يهاب سوطه أو توبيخه له بعد أن دخل الجامعة وشعر بأنه نضج كفاية ليعرف طريقه جيدًا، لم يكن لديه أصدقاء سوى فتاة تدعى ياسمين ابنه أحد الأحياء الفقيرة التي استطاعت أن تلقي بشباكها عليه حتَّى تملكت من قلبه، ظل أسير عشقها طوال فترة الجامعة، تبدل حاله كليًّا فلاحظ والده ذلك إلى أن اكتشف أمرها وهدده، قام شجار عنيف شهده جميع من بالقصر، أعلن نائل زواجه منها في السنة النهائية حتَّى قام عزيز باشا بطرده.

أعلنت ياسمين في رغبتها في الانفصال عنه وبدأت في خلق المشكلات نظرًا لحرمان والده له من كافة حقوقه وفشله في إيجاد عمل، ظل الشجار بينهما حتَّى قام بقتلها طعنًا بالسكين ثمَّ هرب إلى قصر والده الذي قص عليه ما حدث وبالفعل أخفاه حتَّى تمَّ القبض عليه وتبرئته في ساحة المحكمة لعدم ثبوت الأدلة ضده بعدما تلاعب والده بطريقة ما بأدلة أدانته، لمْ يرَ في والده عزيز باشا سوى رمز لتحطيم أحلامه، وتجريده من آدميته فقرر الانتقام منه على طريقته.

***

(2)

نظرت فاطمة إلى ذلك الرجل قائلة:

- أنك لقاص بارع، لقد تعايشت مع ما تقوله لكن أين تكمن المشكلة؟

اِبتسم أحمد في توتر واضح على معالمه خوفًا من ذلك الضخم وهو يقول:

- لم تكتمل الحكاية بعد فبالتأكيد هناك مغزى وهدف من وجوده هنا.

نظر إليهما وهو ينفس دخان غليونه في الهواء قائلًا:

- الصبر لكي تنال مرادك فلمْ يبقَ لي الكثير من الوقت فدعني أكمل لك ما حدث، بالمناسبة هل لي أن أسألكم أين ثالثكم؟

نظر كلاهما إلى بعضهما قبل أن يجيب أحمد.

- هذا ما كنا نحاول أن نجده قبل أن تعثر علينا وتأتي بنا إلى هنا...

تغيرت معالم وجهه كليًّا حتَّى بدأت بالذبول قائلًا:

- سوف أكمل لكما ما حدث، لكن عليكم بالبحث عن ثالثكم حتَّى لا يقع في براثنهم وتتعقد الأمور عليكم وعلى عالمنا.

لم يمهلهما للاسترسال في الحديث حتَّى بدأ في استكمال قصته.

***

(3)

تلك الليلة الممطرة شتاءً كنت قد أعطيت جميع العاملين بالقصر إجازة، جاء والدي من الخارج ينادي على كل من بالقصر فأبلغته بما فعلت وكعادته عنفني بقسوة لكنه تعجب حين شاهدني أبتسم له وأعتذر عمَّا فعلت وافقني على مضضٍ و قبل اِعتذاري بعد إبداء دهشته وتعجبه من تصرفي تلك الليلة.

دلف إلى مكتبه وتبعته بفنجان القهوة المعتاد الخاص بالمساء ثمَّ تركته وانصرفت، مرت نصف ساعة وبقيت جالسًا بجانب ذلك الباب إلى أن سمعت صوت اِستغاثته من الداخل فتحت باب المكتب مبتسمًا له ثمَّ جلست على الكرسي المقابل لمكتبه قائلًا:

- هذا وقت الحساب وهذا ما جنيته من قسوتك وبطشك، مت وأذهب إلى الجحيم.

تمتم بكلمات غير مفهومة فنهضت إلى الخارج مغلقًا باب كابوس عشته طوال حياتي إلى الأبد.

عشت كما كان يعيش لكن الفرق أني لن أحكم على نسلي من بعدي بنفس الحكم الذي حكمه عليّ ما زالت اِستثماراته تدفق الكثير من الأموال لكن الفرق هو أني أنا من يتحكم بها، مرت السنوات وتزوجت امرأة من العامة كما كان يطلق عليهم والدي أحببتها بجنون حتَّى أنجبت ذلك الصبي الذي أصبح عقدة ذنبي وسر تعاستي شاب مستهتر لا يتحمل المسئولية، فاشل بكل المقاييس دائم السباب واللعن على الظروف على الرغم أن جميع طلباته مجابة الكثير من

المشاكل قد سببها لي ولوالدته المسكينة، هربت إلى أحضان الرذيلة على أمل أن تنفك كل ضغوطات حياتي كما نصحني بعض الأصدقاء، تلك الغانية التي تعرفت عليها في إحدى الحفلات كانت السبب في خراب حياتي، كلما اِبتعدت عنها كان هناك ما يعيدني إليها ذليلًا مكسورًا مكبل بسحر جمالها وأنوثتها لمْ أقوَ على فراقها حتَّى صارت متعتي الوحيدة هو اللقاء بها والفوز بها كل ليلة على سرير المتعة و الشهوة، علمت زوجتي بذلك الأمر بعد مشاجرة عنيفة مع ولدي أمامها الذي قرر فضح أفعالي ثمَّ هرب إلى مكان غير معلوم، تركت لي المنزل وتوفيت في حادث شهير وقع في أحد ضواحي القاهرة لمْ أتحمل عقدة الذنب التي دمرتني فقد كنت دائم السكر في الليل والنهار حتَّى أخبرني أحدهم بوفاة ولدي الوحيد الآن صرت محطمًا من كل الاتجاهات لا أقوى على شيء، لكني وجدت نفسي أرجع لأحضان تلك الغانية حتَّى سلبت مني أموالي جميعًا و تركتني، لمْ يبقَ لي سوى حل واحد وهو الانتحار أمسكت ذلك المسدس بيدي وأطلقت النار وهذا هو حالي الآن، أتعتقدون أني مذنب أم لا؟

***

(4)

هول الصدمة الواقعة علينا جعلتنا غير قادرين على الكلام وهو ما زال يردد سؤاله، تذكرت كلام الشيخ وحديثه عن بنود الاتفاق المنصوص عليها بالعقد، أصوات صراخ بالخارج تكاد تصم الأذان وصوت ذلك الشخص كما توقعت اِسمه من روايته لتلك القصة نائل يعلو بتكرار سؤاله، لم أقدر على الكلام وبجانبي فاطمة في حالة خوف.

خرجنا مسرعين إلى الخارج لمْ نكنْ نعلم ما يجب علينا فعله، خرج ورائنا مسرعًا وهو يقول بصوت أشبه بالاستنجاد.

- أتعتقدون أني مذنب أم لا؟

لم أعد أتحمل صوته فالتفت له، حاولت فاطمة جذبي لكني لم أنتبه لها.

- تعلم جيدًا أن وجودنا هنا ليس للحكم عليك أو على غيرك فأنت تعي ما فعلت وتعرفه جيدًا، لذلك الحكم في يدك أنت لا في أيدنا نحن.

- لقد أخبرونا أنكم ملاذنا فكيف لكم أن تتخلوا عن أحد مهماتكم، اعلموا بشرود ثالثكم سوف تهلكون بلا محالة.

هنا تسمرت أقدامنا فتذكرت أن محمد قد شرد عنا، نظرت لي قائلة:

- لقد أخبرنا الشيخ أن نتحد ولا نفترق فكيف السبيل لرجوعه لنا، لقد تخطينا أولى مراحل تلك المغامرة.

ابتسمت لها قائلًا:

- لا تقلقي لقد واجهنا ما هو أصعب لكننا دومًا الفائزون .

في قلق بالغ وصلني شعورها نظرت إليها وهي تمسك يديّ فشعرت أن هناك شيء ما خاطئ إلى جانب شعوري بألفة المكان هنا ويقيني بأن الحلم يتحقق بعض الشيء يكاد أن يقتلني، لكني سوف أكمل ما بدأته معهم.

نظرنا مرة أخرى إلى ذلك الرجل لنجده قد اِختفى تاركًا كومة من الرماد مع اختفاء ذلك البيت وخلف ورائه بعض الكتابات التي منعت نفسي وفاطمة عن قرأتها، سرنا في طريقنا ومن حولنا ظهرت بعض الأضواء اللامعة فطلبت منها عدم الاهتمام ذلك حفاظًا على الميثاق، كل همنا الآن هو إيجاد شريكنا الثالث بأي شكل.

***

"تصبح الروح نقية إلى أن تختلط بحبال الدنيا وملذاتها، تنحاز الضمائر والنفوس إلى أحد الجانبين فإما الخير أو الشر، فتصبح أروحنا مقسمة ما بين الحق والباطل إلى أجل غير مسمى، من الصعب تحديد تلك المسميات إلى أن تظهر كل شخصية على حقيقتها الأصلية لكن في الأصل نحن أرواحًا نقية دنست بتلك المغريات".

الفصل السادس

(1)

أثناء سيرنا أتت ريح قوية تحمل الكثير من الغبار الأسود، ركضنا سريعًا طوال الطريق محاولين تلاشيه إلى أن ظهرت في جوانب الطريق كتابات لامعة وأصوات الصراخ بدأت في الظهور مرة أخرى حتَّى وجدت يد تجذبنا من أكتافنا، دب الرعب في قلوبنا فجأة إلى أن اِلتفت فوجدته محمد، سار أمامنا ثمَّ انعطف قائلًا:

- تعالوا لقد وجدت أحد ضالتنا.

دلفنا إلى منزل أشبه بمنازل الأشباح في أفلام الرعب حين دلفنا إلى الداخل هالني ذلك المنظر وكأنها غرفة نوم كبيرة ذات سرير معدني ضخم، أخذنا في تفحص الغرفة حتَّى نظرت إليه قائلًا: أين كنت أيها المجنون ألم تسمع كلام الشيخ حين قال لا نفترق؟!، نظر لي بغضب واضح لم أعهده من قبل حتَّى اِقترب مني قائلًا:

- تهت منكم حين ركضنا حتَّى رأيت مخلوقات لم أتبين ملامحها، وجدت نفسي أصارع واحد منهم إلى أن جذبتني تلك السيدة.

انتفضت فاطمة فزعًا حين رأت تلك السيدة قادمة بخطوات ثابتة تنظر لنا في ابتسامة مريحة، جمالها أخاذ بيضاء البشرة وجهها كالقمر في تمامه ذات القوام الممشوق شعرها كليل حالك السواد، طمأنت فاطمة إنها ليست موجودة لإيذائها أو إيذاء أي واحد منها بل كانت تنتظرنا، هنا نظر محمد لنا وأخبرنا أن تلك هي السيدة التي أنقذته من تلك المعركة التي حدثنا عنها بالخارج، قاطعتنا بحماسة

بالغة اِتضحت في صوتها الناعم وهي تخبرنا بأننا هنا لنجدتها لكن قبل أن تبدأ قصتها لا بد أن تأخذ منها عهد في مساعدتها، نظرنا إلى بعضنا فلم يمهلنا محمد حتَّى أخبرها بموافقتنا، شعور داخلي بأن هناك شيء غريب بداخل محمد حين دلفنا إلى ذلك العالم لكني لا أعيره من الاهتمام سوى القليل فكل ما أفكر فيه الآن حماية فاطمة وألَّا يكون حلمي واقعًا يتحقق.

- اِنصتوا جيدًا فالوقت ليس في صالحنا وكل ما هو مسموح لي أن أقص عليكم ما عشته وخضته في دنيا الشهوة والملذات، دنيا أغرتني بمالها وسلطتها وأغريت من فيها بجسدي ومفاتني لذلك أطلب منكم أن أبدأ في الحديث، بالمناسبة ليس من الصواب أن تكونوا في تلك الحالة من الخوف والهلع فسوف يقابلكم ما هو أسوأ فكونوا مستعدين.

***

(2)

القاهرة.

الثانية بعد منتصف الليل – شتاء 1950.

أحد الأحياء الشعبية الفقيرة:

منزل بسيط متهالك، بداخله تسكن أسرة السيد زينهم صاحب ورشة النجارة التي تقع في أول شارع الذي يسكن به، تتكون أسرته من أربعة أفراد أم وابنه إلى جانب ولدين، بيت ذو آثاث بسيط على الرغم من أن صاحبه يملك ورشة نجارة إلى جانب حوائط البيت المشققة، الأب سكير لا تفارق الزجاجة يده، غريب الأطوار دائم السهر خارج المنزل حين يعود لا يهتم بأي شيء سوى متعته في أن يضجع مع الأم أمام أولادها وليس لها حق الاعتراض خوفًا من بطشه.

نفر منه الولدين وتركا فتاة صغيرة لا تتعدى الثانية عشرة من عمرها، هند هو اِسمها جميلة كالملائكة طفلة لا تعي في الكون بأسره شيء لم تدخل مدارس بسبب آراء أباها المتحجرة أو ربما لرغبته في عدم الإنفاق على تعليمها، في تلك الليلة التي غيرت مسار حياة الطفلة حين دخل عليها أبوها فجرًا واغتصبها، صرخاتها وتوسلاتها لم تشفع عند ذلك الأحمق وصمت أمها وخذلانها لها كان أحد أهم الأسباب التي دفعتها للهروب إلى غابة الدنيا.

طفلة تائهة صغيرة على مواجهة تلك الدنيا بأهوالها، خرجت من تلك الدنيا التي لم تكن تحلم فيها بالكثير، مجرد قطعة حلوة كبقية الأطفال، قاست مرارة الحياة في الشارع وأصبحت عرضة لكلاب الليل أن تنهش جسدها حتَّى أصبحت

في بداية شبابها متسولة لا عمل لديها، شاهدتها من سيارتها الفارهة في ذلك الوقت الست وحيدة صاحبة الملهي الليلي الأشهر في القاهرة الكبرى والذي لا يستقبل سوى عليه القوم وكبارهم فقط، انتشلتها من الشارع إلى عالم آخر له من البريق الساحر ما يسحر العقول، ملابس غاية في الأناقة والإغراء وما لذ وطاب من المأكولات والخمور، أصبحت الست وحيدة هي قدوتها حتَّى بدأ أول اِختبار حقيقي لها حين طلبت منها أن تجالس أحد الزبائن المعروفين بشبقه وعشقه للنساء، قامت على الفور بمجالسته وكان أول ظهور لها في صالة الملهى وللحق فقد سحرت الجميع بجمالها الجذاب.

أصبحت هند هي رقم واحد حتَّى اِحتلت مكان الست وحيدة وأصبحت هي مالكة الملهى، حاول الكثير من عليه القوم التقرب منها إلى أن وجدت ضالتها في ذلك الثري الذي أبدى إعجابه بها منذ الوهلة الأولى، نسجت شباكها حوله، أصبحت المضيفة له في كل الأوقات حتَّى أصبحت هي العشق الوحيد له يرتمي في أحضانها يغدق عليها بالأموال والهدايا حتَّى أصبحت ملاذًا له تغدق عليه بجسدها مقابل كل ما تأخذه منه، عرض عليها الزواج أكثر من مره لكنها كانت تعلم جيدًا بحكم تربية الشارع لها وما شاهدته في حياتها بأن أمثاله لا يسعون إلَّا لامتلاكها فقط، ما تعلمته جعلها لا تلقي بالًا لعرضه فالكثير حاولوا معها وما كانوا ينالوا إلَّا المتعة من جسدها لذلك قررت أن تكون للمتعة وكسب المال، على الجانب الآخر كان هناك من يعشقها بجنون لكنها كانت تصده بكل الأشكال حتَّى انقطعت أخبار غريمة فحاول كثيرًا حتَّى أتته تلك اللحظة التي قام فيها بقتلها بعد أن رفضت مجالسته ونهرته أمام الجميع ثمَّ أرسل رجاله لحرق الملهى الليلي الخاص بها.

***

(3)

- أشعر أني أمام فيلم عربي قديم، حكايات اِجتماعية دسمة سوف نقوم بتقديمها للقراء ليست المغامرات المعتادة التي عودناهم عليها أو التي تمنيتها ورسمتها في مخيلتي، ما هذا الهراء؟

قلتها غاضبًا بعض الشيء حتَّى أمسكت فاطمة يديّ، نظرت لي تلك السيدة مبتسمة ابتسامة لم أفهم معناها ثمَّ اقتربت مني حتَّى شعرت بأنفاسها تلهب وجهي قائلة:

- أن لم يكن لديك المتسع للسماع لما وجب عليك الولوج بداخل العالم، صديقك الضخم قد نال من المحبة ما يريد فحدد وجهته أمَّا أنت فلا تزال حائرًا، أنا في انتظار سماعكم لباقي قصتي حتَّى أستريح من عناء ضياعي.

- سيدتي لم يقصد صديقي مطلقًا أهانتك كما ترى فكل ما أخبرتك به عن مراده وغايته هو وصديقتنا ليس إلَّا لذلك أرجو منك أن تكملي ما بدأته.

تعجبت من كلام محمد لها كما جذبته فاطمة من يده قائلة:

- ألم نتفق على أن نكون يد واحدة ؟

نفض يدها من عليه بدون أي كلمة حتَّى هممت بضربه فقاطعتنا بضحكاتها الماجنة قائلة:

- وهذا ما يريدونه أنصتوا جيدًا فلمْ يبقَ من الوقت إلَّا قليل، فما سوف تلاقونه ليس هين.

***

(4)

الكثير من العشق والكثير من الجنون والنهاية واحدة لكن في حالتي لمْ يكنْ الموت سوى عنوان لي، أعلم أن الكثير عشقوني لدرجة الجنون بعد أن تعلمت أصول اللعبة أن أحصل على ما أريد بأقل الخسائر، حين دلفت إلى ذلك العالم الكبير طفلة صغيرة لا تفقه الكثير من الأمور لمْ يكنْ معي شيء أدفعه سوى جسدي الذي اِنتهك كثيراً لذلك الحين، وأتتني الفرصة أصبحت أستثمر جسدي لمن يدفع أكثر، تعلمت على يد الست وحيدة التي جلبتني كما جلبت غيري من فتيات الشوارع إلى الملهى كانت غانية بمعنى الكلمة، صالة واسعة تشمل العديد من الفتيات مع مدربين لتعليم الرقص إلى جانب طريقة التعاملات التي تجذب الزائر لنا، تعلمت سريعًا فأصبحت محط إعجاب وحيدة بعملي إلى جانب غيرة زميلاتي؛ لأني كنت على يقين بأني مميزة يتهافت عليّ الكثير من كبار العائلات، منهم من أخضع له لكنهم لم ينالوا سوى ما أردته أنا، منهم من خدعني بتلك الكلمات المعسولة حتَّى أصبح عظمي صلبًا قوية معجبين من كافة أرجاء المعمورة الذي أغدقوا عليّ بالأموال والهدايا بل أصبحت لديّ شعبية بين فتيات المَلْهَى جميعًا، بدأت معاملة وحيدة تتغير لي حتَّى أصبحت سمة التشكيك والتخوين هي قانونها معي، الأموال والهدايا الثمينة تعمدت أن تسرقهم مني ثمَّ تأتيني بزبائنها كأنها تراضيهم بي رغم علمها بأني أكره تلك الطريقة، لكني صممت أن أجالس ذلك الشخص من الواضح أنه طيب القلب تائه العقل أغدق عليّ بالكثير والكثير، جاء اليوم الذي ماتت فيه وحيدة في غرفتها... نعم ماتت واعتبروا أن تلك الوفاة طبيعية لكني أنا من تسببت

في وفاتها بدس السم في الطعام لها قبل أن أحصل على بصمتها على تلك الورقة التي تنقل كل ملكياتها لي فأصبحت أنا مالكة المَلْهى، أصبحت أنا المالكة ليحاول الكثير منهم أن يتقربوا لي وكانت هداياهم وأموالهم هي السبيل لرضائي حتَّى حاول معي أحدهم وقد كان الصديق المقرب للست وحيدة لكني كنت قادرة على صده وكل ما عاونه إلى أن عاد ذلك الشخص طيب القلب الثري بعد إشارت على إحدى خادماتي أن أتسعين بتلك العرافة التي تجيد كل أعمال السحر السفلي والشر، تعيش في أحد المناطق النائية على أطراف القاهر حين ذهبت شعرت بالشر كله في ذلك المكان سيدة كبيرة يبدو عليها الوقار لكن في نظراتها ترى خبث العالم كله قادرة أن تحول كل شيء جميل إلى قبيح شر متجسد في هيئتها فطلبت منها أن يصبح ذلك الشخص ملك لي فقط، فوافقت على الفور على الرغم أنها تلت على ما سوف يحدث له فكان الموضوع بالنسبة لي مربحًا حتَّى أصبح ذلك الشخص مسحورًا بي إلى أن علمت أنه انتحر بعد ما خسر كل ما لديه لكني لم أهتم، أتذكر تلك الليلة التي قادتني إلى ذلك العالم هنا حين باغتني ذلك المجنون صديق وحيده من الخلف وعاجلني بطعنات أودت بحياتي فمع كل طعنه كان شريط حياتي يمر أمامي سريعًا، هل ترون أني مذنبة أم أني ضحية؟

***

(5)

انتهت من حديثها حتَّى بدأ ذلك الصراخ والعواء يظهر من جديد، نظرت حولي فلم أجد محمد مرة أخرى، أمسكت بيد فاطمة التي ظلت في حالة صمت مدة بسيطة قبل أن تهتز الأرض بعنف من تحتنا، جذبتها بقوة لكي نهرب من ذلك المكان فقد شعرت بتلك الهزات سوف تزيل ذلك المنزل بعدما بدأت تلك السيدة في الصراخ قائلة:

- أريد حكمكم الآن هل أنا مذنبة أم ضحية؟

ركضنا مسرعين لكن تلك المرة كانت تختلف كثيراً فلقد أخرجت محمد من حساباتي، اِنهار ذلك المنزل حين عبرنا إلى الطرف الأخر من الطريق فلاحظنا تلك السيدة ما زالت تقف و يسقط من حولها حجر يلمع من فوقها مع ظهور كلمات خلفها كأنها أنوار لكننا لم نهتم بناء على ما تم الاتفاق عليه بدأت في سؤالنا مرة أخرى لكن تلك المرة رأينا جسدها ينهار كالوردة الذابلة قائلة:

- تذكروا كلماتي جيدًا لن يتركوكم تمروا بسهولة، سقط واحدًا وبقى اثنان.

سقطت فأصبحت كومة رماد، أخذت فاطمة في البكاء حتَّى أمسكت وجهها وهي تبكي.

- لا مجال للبكاء يا فاطمة فنحن وحدنا الآن محمد اِختفي فمن الواضح أن تلك الرحلة لن تكون بالسهلة لذلك دعك من البكاء ولنكمل مسيرتنا حتَّى ننتهي.

نظرت حولها قائلة:

- صحيح أنه ليس موجود، أخبرني ما الذي يحدث لنا؟ متى سوف ينتهي ذلك الكابوس؟، لقد ألقينا بأنفسنا إلى التهلكة أعلم إننا لن نخرج على قيد الحياة من ذلك المكان.

قبلت رأسها حتَّى أبعدتني عنها وهي تشير إلى شيء ما لم أنتبه له حتَّى شاهدت وجهها، نظرت معها إلى حيث تشير لأرى ذلك الجبل الضخم الظاهر فوقه شيء يلمع بشدة وهناك من يقف بجانبه يشير لنا.

بدأت الأرض في الاهتزاز مرة أخرى بعنف فكدنا نسقط لكن قررنا المقاومة والركض تجاه ذلك الجبل.

***

"لكل ما خلق في الكون حكمة للحياة حكمة وللموت حكمة وارتباطها بالأقدار له حكمة، لذلك كان السعي وراء السبب من أهم عوامل إثبات الحكمة، لكن من يجهل الحكمة يجهل سبب وجوده وموته، فكن على يقين أن وجودك ليس محض صدفة، إبحث عن أسبابك وأسعى حتَّى يتحقق القدر، فالسكون هو أول طرق الموت البطيء".

الفصل السابع

(1)

كنت أظن أن ذلك الطريق الممهد للجبل قصيراً حتَّى بدأنا السير فيه، خطوات تلو خطوات حتَّى ظهر ذلك الكائن البشع ذو اللون الأسود لم أتبين جنسه، هل هو بالفعل حيوان أو مخلوق من مخلوقات هذا العالم الذي نحن فيه الآن؟

ركضنا سريعًا ولم ننظر خلفنا، كل ما نسمعه هو صوت زئيره ثمَّ تليها صرخات بصوت عالي، في أثناء ذلك شعرت بأن هناك من يراقبنا لكني لم أهتم وصرت أركض أنا وهي حتَّى وصلنا لسفح الجبل، طريق مظلم حالك السواد غير واضح المعالم، حين وضعت فاطمة قدميها على بداية الطريق أضيئت أنوار بطول الطريق المؤدي إلى قمة الجبل، تلك الأنوار الخافتة بعض الشيء والتي جعلت الطريق أوضح عن ذي قبل، كلما سرنا فيه كلما زادت الأنوار التي كانت تزين ذلك الممر حتَّى ما وصلنا إلى بداية قمة ذلك الجبل ليختفي الطريق تمامًا من خلفنا.

- ألم ينهيكم الشيخ عن النظر خلفكم حتَّى لا يبتلعكم الظلام؟

قالها ذلك العجوز ذو البشرة البيضاء والجسد النحيل وإلى جواره شكل هرمي ضخم بعض الشيء يتكئ عليه، إبتسم أكثر حين شاهد فاطمة وأمسك قطعة من الهرم ثمَّ مد يده بها إلى فاطمة التي أبت أن تأخذها فضحك ثمَّ إلتفت إليّ مادًا يده فابتسمت له ثمَّ أَبَيْت أن أخذها حتى أمرنا بالجلوس.

لا أنكر أني شعرت بالراحة النفسية بعد أن شاهدت وجهها يبتسم، المكان بسيط جدًا لا شيء يذكر سوى قطعة خضراء تشبه الربوة وذلك الهرم الذهبي.

- غريب أن نجد تلك البقعة في ذلك المكان المظلم فلقد أخبرنا الشيخ أنَّه مكان للأرواح الضائعة لا يوجد سوى الهائمون منهم، الغريب هنا أني مطمئن لا أبالي بما عانيته أو شاهدته تلك الفترة مع النظر إلى وجهها أعلم أني أسير على الطريق الصحيح.

- من الواضح أن ولعك الجنوني بها قد يقودك إلى الطريق الصحيح أو من الممكن جدًا أن يقودك إلى التهلكة، اِنتبه جيدًا لما سوف يقال، فهاهنا ثلاثة عناصر مختلفة أتفق ثلاثتهم على ألَّا يتفقوا، عنصرين اتفقا بكل ما فيهم من كيان والعنصر الآخر اتفق ظاهريًّا ولتعلم أن هذا مؤشر خطر، أتحدوا ولا تفرقوا خيرًا كان أو شر فلا تحاولوا الابتعاد أسرعوا في إتمام ما بدأتموه ولا تنظروا خلفكم، المعركة لم يحين وقتها بعد.....

قاطعته فاطمة معلنة اِستيائها من تلك الألغاز التي يتفوه بها، أخبرته بأنه لا بد أن يخبرنا بما أراد لماذا لوح لنا وطلب منا الصعود.

طلب منا الشيخ الاقتراب من قمة الجبل ومشاهدة ما سوف يحدث ثمَّ نظر إلى فاطمة وحذرها من أنها ستكون هي الميزان، تلك الكلمات قد أخبرنا بها الشيخ مبروك حتَّى بادرته بالسؤال هل هو نفس الشخص أم ماذا؟، نظر لي ثمَّ جذبني من يَدِيّ لأشاهد الموقف من أعلى.

***

(2)

عالم من الظلام بالأسفل يقع فيه كل من كان يحمل جسد بلا روح أو تائه في دروبها، صرخات وبكاء تكاد تصم الأذان لم لا يوجد مخلوق واحد تدعو هيئته للتفاؤل، ثلاث نقط واضحة المعالم من فوق الجبل حتَّى وإن هبطنا لن نشاهد شيء، رائحة المكان كئيبة لدرجة تدفعك للانتحار، هزت فاطمة يديّ حين رأينا روح ذلك الطفل يهيم صارخًا طالبًا الرحمة والسماح أمامه سيدة وجهها غير واضح المعالم سمينة بعض الشيء تجره كحمار مربوط وهي تصرخ عليه حتَّى لا يسمعه والده، ما زال ذلك الطفل يبكي وتزداد صرخاته إلى أن يأتي ذلك الشخص الغريب ضخم الجثة في يده سوط من حديد يضربه به بكل قوة وعنف، يصرخ ذلك الطفل هزيل البنية متوسلًا لذلك الرجل الذي ظل يضربه حتَّى يسقط على الأرض صريعًا ثمَّ تلاها صرخات أمه التي هزت قلوبنا حتَّى رأيت الدموع تنهمر في عينيها، اِبتسم لها الشيخ قائلًا:

- اِحذري أن تخدعك الصور فبعضها حقيقي والآخر زائف.

نظرنا مرة أخرى فلمْ نرَ الطفل كل ما رأيناه هو الأب والأم يتشاجران ظل صوتهما يعلو حتَّى ركض ذلك الصغير نحوهما يحمل في يده الصغيرة سكين ثمَّ قفز على ذلك الرجل وظل يطعنه بجنون في جميع أنحاء جسده، الأم تصرخ تحاول أن تبعده عن زوجها الذي خارت قواه وسقط أرضًا غارقًا في دمائه حتَّى إذا ما أمسكته اِنهال عليها الأخرى طعنًا حتَّى فارقت الحياة، بعد أن سكنت الجثتان في بركة دماء كبيرة ظل الصغير ينظر إليهم تارة مرعوبًا يبكي وتارة يضحك بجنون حتَّى ألقى بذلك السكين ثمَّ ركض إلى ما لا نهاية حتَّى اختفى.

وقفت متسمرة في مكانها تنهمر الدموع أكثر من عينيها حتَّى أمسكت يديها محاولًا لفت انتباهها التفت إلى ذلك العجوز الذي وقف مبتسمًا قائلًا:

- أُنظري وتمعني في النظر فما أقحمتهم أنفسكم فيه ليس بهين.

حين نظرت له محاولًا الكلام عاجلني بقوله أن ما يوجد هنا ليس بمحض الصدفة لكنه قدرًا بين كتب علينا، أمرنا بالنظر مرة أخرى حتَّى صعقنا من هول المنظر.

***

(3)

نظرنا مرة أخرى إلى ذلك العالم المظلم، أصوات تصدر من كل جانب حتَّى ظهرت تلك المجموعة من المخلوقات الغريبة لم نحدد أشكالها، أو ملامحها غير أنَّها طويلة القامة كالهياكل العظمية يحيطون بتلك السيدة يضربونها من كل صوب وجانب ضربًا مبرحًا مع صرخاتها يطلقون ضحكاتهم الشيطانية، يغرسون أظافرهم في لحمها فلا تخرج إلَّا بقطع منه مع دم كثيف أسود اللون، ظهر ذلك المخلوق من وسط الحشود التي كانت تحيط بها حتَّى أمسك بتلك العصا الغليظة فابتعدوا عنها حتَّى بدأ في ضربها بقسوة شديدة جعلت من صراخها وضحكاتهم مزيج كريه من المشاعر والألم، لا أنكر أن ذلك المشهد الدموي الصادم أفزع قلبي لكن ما يقلقني هي فاطمة أنني ألعن نفسي في كل دقيقة وثانية تمر علينا في تلك الكارثة بسبب مجيئها معي وتخلي محمد عنا.

- أُنظر يا أحمد جيدًا على ما أعتقد أن تلك السيدة من الدجالين الذين أخبرنا بهم المبروك.

وقف الشيخ بجانبها ثمَّ همس لها بصوت مسموع:

- ليس كل الكلام صحيحًا حاولي التركيز على ما هو قادم ولتنظري معي فقدرك أصبح محتوم، ما تشاهدونه مجرد أمثلة لتلك الأرواح الضائعة وأغلبها مذنب بذنب في الدنيا لا يوجد لديه مكان للهروب منه لذلك أصبحوا تائهين في ذلك المكان فكونوا على حذر فالقادم أصعب والثمن هو حياتكم فأحسنوا الاختيار ففي يد أحدكم الخلاص.

أمسك بقطعة من الهرم الذهبي ثمَّ ألقاه من فوق الجبل حتَّى بدا نورًا واضحًا، صدمت حين رأيت ذلك المشهد لمْ أبالِ من حولي كل ما ركزت عليه هو ذلك الشخص الذي يركض، أنه أنا!.

***

(4)

ما زال ذلك الظلام يزداد قبحًا وسوءًا حين شاهدنا ذلك الشاب وهو يقاتل شيء ما أشبه برجل ضخم يكسوه السواد، ركض الشاب بأقصى سرعته حتَّى وصل إلى أول الطريق من تلك المقابر ذلك الطريق الطويل الشبه مظلم إلَّا من إضاءة خفيفة تكاد ترى بها ما يحدث وهناك من يصرخ عليه يأمره بالهرب فما أن نظر ذلك الشاب خلفه وأخذ بالركض مسرعها في منتصف الطريق والمقابر تحيط به من كل الجوانب والصراخ يخرج منها بطريقة جنونية، ما زال ذلك الشاب يركض والظلام يكسوا ما خلفه محاولًا ابتلاعه، توقف ذلك الكيان عن الركض خلف ذلك الشاب حتَّى توقف الشاب ينظر خلفه محاولًا فهم ما يحدث، اتكأ على واحد من شواهد القبور، سمع صوتا يناديه، نظر حوله فلم يجد سوى باب تلك المقبرة يفتح فدلف إليه حتَّى ظهرت تلك اليد وهي تعطيه ذلك الخاتم ثمَّ بدأ الصراخ مرة أخرى يصدر من المقابر معلنا عن عودة ذلك الكيان، خرج ذلك الشاب مسرعًا إلى منتصف الطريق لكن تلك المرة كان يحيط به بعض الكائنات التي تحاول الفتك به لكنه ما زال يركض بأقصى سرعته حتَّى وصل إلى ذلك المنزل، سور قصير يتخلله في المنتصف باب خشبي قديم متهالك، دلف بداخل المنزل سريعًا ثمَّ أغلقه على أمل ألَّا يدخله ذلك الكيان ناظرًا إليه فتوقف عن الحركة فجأة حتَّى تلاشى، اِبتسم ذلك الشاب حتَّى استدار مواجها حديقة ذلك المنزل فصرخ صرخة لو سمعها أهل القبور من الأموات لبُعثوا من موتهم، تلك الفتاة المسلسلة من يديها ورجليها تنزف الدماء من كل جانب تحت دائرة من الدم الأسود، حاول الاقتراب منها لكن هناك شيء يمنعه، حاول الحديث معها ففزع حين شاهد فمها مقفول بخيط أسود

غليظ، اِنتبه لعينها حين أرادت أن تنبه لشيء، حين فتحت تلك الفتحة وكأنها بوابه يخرج منها الدخان الحارق ذهب لاستطلاع ماهيته، دفعه شيء ما للخلف حتَّى سقط أرضًا فرأى طريق يتخلله النيران من جوانبه وشاب قوي البنيان يمشي في المنتصف باتجاه تلك البوابة تحيطه نيران خفيفة على الجانبين حتَّى أن وصل خرجت بعض الأيادي تجذبه إلى الداخل، صرخ ذلك الشاب مرة أخرى حتَّى نهض على قدميه فرأى ذلك الكيان يحيط به وسيف كبير مغروس في منتصف تلك الفتاة المكبلة ويبتلعه الظلام إلى أن يختفي كل شيء.

***

(5)

- لقد أصبح الموضوع أكثر تعقيدًا من أصدق ما نراه الآن، لقد أصبح عقلي مشتتًا أكثر فكل ما أتمناه الآن أن تنتهي تلك الرحلة وأعود إلى منزلي ليس أكثر.

- أيتها الشابة قلت لك أن كل الصور ربما ليست حقيقية، وإن كانت فبيدك تغييرها لكن بالعقل وبحسن التصرف لكي تعلم قدرك وتدخل في مواجهة حقيقية يجب عليك معرفة قدر نفسك وعقلك.

- لقد كرهت تلك الفلسفة الفارغة والكلمات المغلفة بالغموض إن كنت لا تريد الكلام فدعنا نذهب، نريد الخروج من ذلك العالم.

أمسك العجوز أحد ما من كتفيه مبتسمًا ثمَّ تركه وأدار ظهره قائلًا:

- إن تفكرت في معنى الكلام وغايته سوف تجد ضالتك فأنهي ما بدأت ثمَّ غادر لكن اِحذر أن تمسك ريحهم أو نارهم.

وقف العجوز بجانب الهرم مبتسمًا فظهر من خلفنا ذلك الممر الذي صعدنا به إلى تلك القمة كل ما فعلناه هو الهبوط إلى أسفل حتَّى بدأنا بسماع أصوات تلك الكائنات والصريخ مرة أخرى، حين هبطنا سمعنا صوت غريب اِتضح لنا ذلك الصوت لنتعرف إلى أنه لم يكن إلا سيل مياه، اتضحت الرؤية حين شاهدنا ذلك السيل يندفع بشدة نحونا يأكل كل شيء يقابله و يقوم بحرقه، صراخ فاطمة جعلني أجذبها بعنفٍ حتَّى نستطيع الهرب، ركضنا سريعًا إلى ما لا نهاية وقد تَمَلَّك منا التعب حتَّى شاهدنا كوخ خشبي على الطرف الآخر لكن من الواضح إنَّه بعيد عن الطريق كثيراً، حين ركضنا إلى الطرف الآخر كانت هناك سيدة تجلس أمام

الكوخ مشعلة بعض من الأخشاب، في تعجب تام نظرنا إلى بعضنا فكيف لها أن تأتي بكل تلك الأخشاب وتشعل بها النيران، نهضت تلك السيدة قائلة:

- انتظرتكم طويلًا، اِتبعوني.

****

"كما قالوا أن النفس البشرية تحمل في طياتها الكثير من المتناقضات حتَّى أن أحبت شيء كانت له عابدًا مخلصًا، فإن تملك الشر منها أفسد كل أعمالها وإن وجد الخير منها".

"لا تتعجب من أناس باعوا أرواحهم لشيطانهم وسولت لهم أنفسهم على إيذاء الغير فهؤلاء قد أحبوا كنوز الدنيا وقوتها على حياتهم في العالم الآخر، أغرب ما قيل أن من يستخدم تلك الأغراض لمصالحه التي تهدف لخدمة الشيطان يأتي عليه يوم تنقلب ضده فويل لهم من تلك الحياة".

الفصل الثامن

(1)

- لا أعلم كم قابلتم لا يعنيني ذلك في شيء، أنتظرتكم طويلًا لكي أجد على يديكم الحكم والخلاص فلقد سئمت روحي العيش هنا ما بين ظلام الدنيا وظلام ذلك العالم، أنتظر حكمكم.

قالتها تلك المرأة صاحبة الوجه العابس ذات الجسد الممتلئ والشعر المجعد، مظهرها يوحي بأن عملها في الدنيا كان غريب كالسحر والدجل، تلك الشكوك قد تبين لي صحتها حين دلفنا إلى الداخل حين طلبت مني أكون أول الدخول، لم أفهم ما سبب ذلك لكني دلفت إلى الداخل خلفي فاطمة ممسكة بملابسي، المكان بالفعل كئيب أشبه بالمقبرة رائحته عطنة تزيد الرغبة بإخراج ما في جوفك، منزل متهالك تتوسطه تلك المنضدة يكسوها غطاء جلدي الملمس يتوسطها كتاب أسود ضخم أشبه بكتب السحر والأعمال السفلية لم أهتم حتَّى هممت بالجلوس فإذا بفاطمة تطلق صرخة مدوية فألتفت لها سريعًا حتى رأيت ذلك الثعبان الضخم على الكرسي الذي هممت بالجلوس عليه، نظرت لنا تلك السيدة فأمرتنا بالجلوس وعدم الخوف من شيء طالما هي متواجدة في لمح البصر اِختفى كل شيء، حين همت فاطمة بالحديث سددت لها تلك المرأة نظرة نارية جعلتها لا تستطيع النطق قائلة.

- غير مسموح لكِ بالكلام، هو من يبدأ الحديث ومعه سوف تكون حكايتي فأنصتوا جيدًا ودعوا الباقي لي.

نظرت حينها إلى فاطمة التي بدأ عليها الخوف قائلًا:

- نحن مستعدين لسماعك.

- بل أنت مجبر على سماعي فالوقت ليس في صالحنا جميعًا فإن تأخرنا سوف نهلك جميعًا بمجرد خروجهم. حين قالتها تلك المرأة جاء في ذهني حديث ذلك العجوز في الجبل لذلك أشرت لها بالحديث.

***

(2)

الغربية.
أحد القرى النائية.
الساعة الرابعة فجرًا:

أطلقت بدرية الدجالة المعروفة بالقرية صرختها المدوية معلنة قدوم طفلتها الرابعة، تلك الدجالة كانت توصف بالجمال الفتان على الرغم من دمامة أولادها المنبوذين وهروب زوجها بعد أول مولود لهم وتقرب معظم رجال القرية لهم محاولة لإرضائها والنيل من جسدها، كانت تلقب بنداهة القرية ما أن يقترب منها أحدهم حتَّى تتبدل أحواله في نفس الوقت كانت ذكية لأقصى حد في التعامل فعلى الرغم ما تكنه لها نساء القرية إلَّا أنها استطاعت أن تجذب أقواهم وأشدهم شرًا لها عن طريق أعمال السحر ومن خلالها توغلت إلى نساء القرية اللذين كانوا يلجئون لها في المكائد والمصائب إلى جانب الأحجبة التي كانوا يطلبونها لأزواجهم، كان أولادها يكبرون وتكبر أمهم معهم وتزداد فتنتها بالقرية حتَّى حدث ما قلب كيان القرية كلها حين كشفت إحدى زوجات حاكم القرية علاقة بدرية بزوجها فما أن رأته يدخل إلى منزلها مساءً وأطفالها يلعبون أمام المنزل ما عدا تلك الصغيرة الرابعة التي كانت تجلس تحت الشجرة المقابلة لهم حتَّى أخذت في الصراخ أمام باب المنزل فتجمع أهل القرية جميعًا حتَّى بدأت في الكلام عن مدى قذارة بدرية وعائلتها الذين أصبحوا كالديدان ينخرون في عظام القرية، فبدأت النساء بسبها

ومطالبتهم لرجالهم بطردها من القرية، قامت إحداهم بإشعال بعض الأخشاب وإلقائها على المنزل فبدأت نساء القرية ومن بعدها الرجال في إلقاء النيران على ذلك المنزل حتَّى قام إحدهم بالإمساك بالأطفال الثلاثة و إلقائهم في النار، صرخات بدرية وأطفالها تكاد تصم الأذان لكن لم يكن حول المنزل إلَّا كل سباب أو شامت أراد التخلص منها ومن شرها، لاحظ أحد الواقفين تلك الطفلة صاحبة الأربعة أعوام تبكي عند تلك الشجرة، ركض نحوها والتقطها بعنف عائدا إلى ذلك التجمع فحاول قذفها في المنزل المشتعل وسط صيحات الموافقة من الجمع إلى أن تدخل الشيخ عثمان وجذب منه الطفلة بعدها، في اليوم التالي هدأت الأمور وقام بعض أهالي القرية بدفن بدرية وأولادها الثلاثة خارج القرية وعادت الأمور إلى طبيعتها.

***

(3)

- أتعلمون أن الحياة في الريف كانت أصعب من المدن و الحضر، مجتمعين ومختلفين تمامًا يكاد الاثنان أن يكونا أقسى من بعضهم، غابات تختلف مساحتها عن الأخرى تشمل حيواناتها القوى دائم السطوة على الضعيف، لذلك أما أن تكون قويا صلبًا لا تهاب حتَّى الموت أو تعيش ضعيف تسلم جسدك بروحك إلى من يملك القوة حتَّى تعيش بمأمن.

- حتى الآن لا أرى أي غرابة في حديثك ولا أفهم ماذا تريدين قوله؟

نظرت لي بتهكم واضح ثمَّ سارت بعض خطوات ناحية فاطمة فأخذت تستنشق رائحتها حتَّى ارتجفت من فعلتها قائلة:

- حتَّى أنتهي لا تتفوها بأي كلمة.

- صحيح ما هو اسمك؟

أمسكت فاطمة يديّ محاولة أن تجعلني لا أتفوه بالكلام لكني طمأنتها ثمَّ نظرت إلى تلك المرأة التي أطلقت ضحكة خلعت قلوبنا من قوتها كأفلام رعب حين يكون الأبطال هم الضحية، قائلة:

- سوف أكمل الآن فلا تتعجلوا.

***

(4)

اِسمي هو زينب حين ماتت عائلتي أمام عيني كنت أبلغ من العمر خمسة أعوام، حين أخذني الشيخ عثمان لمنزله مع زوجته الست حفيظة، لا أتذكر شيء سوى حين أخذتني واحدة من الغجر اِسمها لما حين مروا بالقرية لعمل عروضهم لكن قام أهل القرية بطردهم، يقولون عنهم حثالة البشر لا أصل لهم ولا منشأ، عالمهم بسيط يشوبه القلق والحذر كالحلقة مترابطة لا يستطيع أحد فكها أو خلعها ذكائهم عالي ومهارتهم لا حدود لها، لكن شرهم لا حدود له وذلك ما تعلمته على يد لما من فنون السحر الأسود، لا أنكر أن في بعض الأوقات قد تملك مني الخوف بالتحديد حين طلب مني وضع عمل ملفوف في فم ميت لأحد الأشخاص بعدها أصبح الأمر عادي بالنسبة لي بدأت في التعامل مع جميع صنوف البشر وذاع صيتي حين اِشتد عودي قررت العودة إلى قريتي مع قافلة من الغجر لأحد العروض في ليلة مولد أحد الأولياء، حين شاهدت تلك السيدة تذكرتها جيدًا فقد كانت تعايرني كثيراً بأمي و ما فعلته، لقد حان وقت الحساب حين كانت الليلة الأولى التي رميت فيها نتاج دراستي وتدريبي على كل بيوت القرية بعمل سفلي قوي قادر على هدم أي شيء يقف في طريقه، غادرنا بعد انتهاء الاحتفال لمسافة تزيد عن عشرة كيلو متر، كانت لما قد بلغ منها العجز فأخبرتها أني أريد أن أذهب إلى تلك القرية مرة أخرى فبعد جدال واضح ومشاجرة واضحة ذهبت إلى هناك برفقة جواد ذلك الشاب الوسيم الأسمر، حين ذهبنا إلى تلك القرية رأينا سيارات إسعاف إلى جانبها سيارات شرطة حين هممت بالاقتراب منعني جواد

حتَّى رأيتهم يغطون جثة ذلك الشيخ نعم أنه هو الشيخ عثمان الذي أنقذني من يد أهالي القرية... هل قتلته بيديّ، ما ذنبه؟ لقد أحسن لي، وجدت جواد يجذبني من يدي وهو يقول أن القرية محظور دخولها لأن بها حالة وباء تفشي بين أهله وقضي عليهم جميعًا، فرحتي لم تكتمل بسبب ذلك الشيخ على الرغم من ذلك لم أشعر بأي ندم.

تزوجت من جواد وقررنا أن نترك معشر الغجر لنبدأ حياة جديدة بعيدًا عن أي ضوضاء أو مطاردات لذلك نزحنا إلى القاهرة، بعد مشقة وجدنا غرفة أعلى أحد البنايات بمنطقة وسط البلد حاولنا جاهدين أن نجد عملًا ونبتعد عن الماضي فكان الفشل حليفنا لذلك قررت أن أرجع إلى مهنتي الأولى تحت أي مسمى تشعروا أنه الأفضل لها، لا أنكر أني تحملت عناء ومشقة كثيرة حتَّى جاءت إلى جارتي تخبرني عن ذلك الملهى الليلي الذي كانت صاحبته تريد إحدى العرافات لقراءة الطالع للزبائن والمترددين على المكان بالفعل ذهبت إليها حتَّى أعجبت بي لكن ما تعجبت منه أنها تطلب مني بعض الطلبات كالأعمال السفلية لبعض الشخصيات من عليه القوم فاتخذت أحد المقابر وكرًا لي وبدأ الزبائن يترددون على هناك إلى جانب عملي مع تلك السيدة، فكانت أغلب الأعمال تأتي لسيدات المجتمع الراقي أدفنها في المقابر، أو في أجساد المتوفيين وخاصة الفم لم يرق لجواد ما أفعله وقرر تركي وحيدة لكني لن أترك تلك الحياة الرغدة التي تجلب لي المال حتَّى أعود إلى حياة المشقة والذل.

في أحد الأيام طلبتني تلك السيدة صاحبة الملهى لأمر هام فأخبرتها أني سوف أتي إليها في الملهى لكنها طلبت مني القدوم إلى منزلها، ذهبت مساءً فوجدتها تخبرني بأمر جلل أن حدث سوف تنقلب حياتي رأسًا على عقب فأصبح من أعالي القوم، بالفعل قمت بما أمرتني به حتَّى وضعت خلاصة جهدي في فم طفل مولود

توفي منذ أيام هنا شعرت بما ألت إليه حالي حتَّى أصبحت أعاني من تلك الكوابيس التي أرى فيها هؤلاء الأموات الذي وضعت أعمالي في فمهم أو أجسادهم، حتَّى حانت لحظتي وانقلب السحر على الساحر في إحدى الليالي حين حاولت استدعاء أحد أبناء الجان ألقيت بتلك التعويذة بالخطأ لألقى حتفي في حريق هائل وضخم بغرفة عملي بإحدى المقابر، أخبروني هل أنا مذنبة أم لا؟

***

(5)

- بالطبع أنتِ مذنبة مريضة قذرة، كيف لك أن تفعلي ذلك؟ تؤذي الأحياء والأموات مقابل ماذا؟ حفنة من الأموال، سحقًا لكِ ولكل من هم على شاكلتك.

هكذا نطقتها فاطمة بغضب وسط تعجبي الشديد، حاولت منعها من الكلام لكني لم أقدر حتَّى لاحظت نظرات تلك السيدة فتحولت مقلتًا عينيها إلى اللون الأسود وهي تكرر ذلك السؤال حتَّى صرخت فاطمة عليها من جديد تخبرها بأنها مذنبة، بدأت الأرض تهتز والنيران تظهر من كل مكان، شعرت بأننا في خطر شديد حين بدأت تلك المرأة بالصراخ والنار تلتهمها إلى جانب المنزل الذي بدأ في التساقط خرجنا من المنزل مسرعين توقفت فجأة حين قالت تلك المرأة.

- ستصبح وحيدًا وهي الطعم.

ركضنا مرة أخرى بأقصى سرعة حين اِنهار المنزل وهو يحترق تمامًا، بعد ركض طويل توقفنا لالتقاط أنفاسنا بعيدًا عن ذلك المكان بمسافة ليست بالكبيرة.

- لقد خالفنا أحد قوانين الميثاق، لا أعلم ما سوف نواجهه لكن أبقي بجانبي ولا تتحركي خطوة واحدة إلَّا معي فأنا لا أعلم ما نحن مقدمون عليه.

- لم أكن أقصد لكني شعرت بالغضب مما اِقترفته تلك المرأة.

- لا عليك علينا أن نتحرك الآن فالباقي هم اثنان على ما أعتقد.

- أحمد أنظر هناك، هل ترى ذلك الحشد؟

نظرت صوب أشارتها لي وإذا بقلبي ينبض بشدة حين رأيت ذلك الحشد الضخم يقترب فبحثت عن مكان لنختبئ به حتَّى يتبين لنا ما سوف يحدث ومن هؤلاء؟

***

"لا يختلف العالم الموازي عن الحقيقي سوى في قبحه، تلك الأقنعة التي اختبأنا خلفها قد أزيلت فأصبحت الحقيقة الواحدة هي واقعية النفس بخيرها أو شرها، لذلك أصبحت الحياة ذات ضحكة باهته يتخللها الكذب والنفاق حتَّى لحظاتك الأخيرة حين تترك تلك الدنيا تصبح أغلب الدموع والوجوه الحزينة زائفة".

"أن القوة ليست بقوة الجسد فقط لكنها بقوة العقل وذكائه، لذلك إن اِجتمعت الصفتان بك فوجهها إلى ما تريده لخدمتك وحمايتك فقط، لا تكن في يوم أداة شر لمن حولك".

الفصل التاسع

(1)

خلف تلك الصخرة الضخمة اِختبأنا متابعين ذلك الحشد الذي ظل واقفًا مكانه لبرهة من الوقت حين صدر ذلك الصوت من بوق ضخم كاد أن يصم الأذان شرعوا في التحرك، كانت أصوات البوق تعلو وقد بدأت الأرض بالاهتزاز وعلت معها أصوات الصراخ القادمة من كافة الاتجاهات، لم تتحمل فاطمة تلك الأصوات فصرخت، الغريب أن جميع الأصوات قد توقفت إلَّا صوت صراخها الذي بدا واضحًا، في خطوات منتظمة سريعة بدأ ذلك الحشد في الاقتراب حتَّى لمحنا أحدهم فبدأ الحديث مع بعضهم وحاول الاقتراب إلَّا أن هناك شيء ما منعه من ذلك وظل الحشد يسير ونحن نتابعه في قلق حتَّى وجدت تلك اليد التي تجذبنا من الخلف إلى كهف صغير لم أعلم متى وأين ظهر؟

- محمد أين كنت؟ ألم نتفق على ألَّا نفترق في تلك الرحلة التي لا أرى لها نهاية.

- أسمعاني جيدًا لا وقت لديّ هناك من خرق الميثاق فأصبحت الأمور معقدة، يجب علينا أن ننجز تلك المهمة في أقل وقت ثمَّ نعود إلى نقطة البداية.

نظرت لنا فاطمة في يأس واضح متكئة على أحد الصخور قائلة:

- أنا من خرقت الميثاق حين حاكمت تلك السيدة آثارت الاستياء في نفسي

من تلك الأفعال المشينة التي فعلتها في حياتها ثمَّ أخبروني من منا بلا خطيئة، أين كنت يا محمد؟ لقد خرقت أنت أيضًا الميثاق بهروبك المتكرر منا، تركتنا نواجه ما نواجهه وأنت على يقين تام بأن من عهود الميثاق أن نظل سويًّا.

- هوني عليك لم يكن.....

قاطعني محمد بحدة قائلًا:

- سوف أكمل ما جئت من أجله، اِذهبا فورًا واحذرا أن تفترقا.

هناك شيء ما خاطئ به أعلم أن فاطمة لن تلاحظ ذلك لكنه أخي أعلم بكل ما يدور في خلده، بدأت الأرض تهتز وعلت أصوات ذلك البوق يليه صوت الحشد فنظر لنا وأمرنا بالركض لأطول مسافة ممكنة، ركض محمد خارج الكهف فنظرت لي فاطمة قائلة:

- أتشعر بما أشعر به؟

أشرت لها برأسي فدفعني الفضول أن ألقي بنظرة إلى خارج الكهف، أفزعني ما رأيت، ذلك الحشد ما هو إلَّا جنود من الجن والأرواح الضائعة يستعدون للقتال خرجت فاطمة بجانبي فاتحة فمها من التعجب قائلة:

- ما الذي اِقحمنا نفسنا به؟ أريد العودة إلى منزلي.

نظرت لها فأدرت ظهري قائلًا:

- هكذا حال النساء دائمين العند والمكابرة.

ابتسمت لها فنظرت لي في تهجم واضح و تركتني.

انتظرنا لبرهة من الوقت حتَّى اِختفى محمد والحشد، خرجنا من ذلك الكهف

لا نعلم وجهتنا رائحة المكان كرائحة الجيفة عطنة، فضلات شكلها غريب إلى جانب تلك العظام المتناثر في الطريق، نظرت لي فاطمة مشيرة إلى ذلك السيف اللامع على بعد مائة متر فاقتربنا منه بحذر فهمت أن تلمسه فصرخ صوت قائلًا:

- إياك ولمسه، إن أمسكته أصبحت أسير ذلك العالم.

نظرنا حولنا حتَّى نرى المتكلم، من عدم ظهر ذلك الشاب يقطع الطريق قادمًا إلينا.

***

(2)

ظهر ذلك الشاب من عدم، متوسط الطول رفيع الجسد ذو بشرة بيضاء، سار بخطوات ثابتة، حين وصل إلينا ركل ذلك السيف بعيدًا وأشار لنا باتباعه، سرنا مسافة ليست بالطويلة في طريق متعرج، ذلك الجسر ومن تحته نهر يجري بسرعة شديدة فرأيت وجه فاطمة فرحًا، ركضت إليه لتشرب حتَّى منعها مرة أخرى ذلك الشاب قائلًا:

- ذلك النهر ليس ماء ولا يصلح لك فأرجو أن تكوني حذرة أكثر من ذلك فالعين أصبحت عليك لخرقك قوانين ذلك العالم.

تسمرت مكانها حتَّى لم تنتبه لندائي، نظر لنا ذلك الشاب مرة أخرى طالبنا بالسير نحو تلك الشجرة الضخمة وانتظاره حتَّى يأتي، جلسنا تحت تلك الشجرة نصف ساعة فشعرنا بنسمة هواء بارد داعبت وجوهنا فغططنا في النوم لكن قام ذلك الشاب بإيقاظنا قائلًا:

- ليس الوقت المناسب للنوم، يجب عليكم إنهاء ما بدأتموه فأنتم في خطر خاصة أنتِ فهم يبحثون عنك وإن وجدوك أصبحت حياتك في خطر.

نظرت له بحنق شديد قائلًا:

- لا يستطيع أحد أن يمسها ما دمت حيًّا، أخبرني من هؤلاء؟

نظر لي مبتسمًا ثمَّ نظر إليها، وهي جالسة بلا حراك قائلًا:

- لا تشعلك الحماسة فهؤلاء ليسوا ببشر أو جان، أنَّهم السادة فلا تحسب نفسك قادرًا عليهم في الوقت الحالي لذلك أسمح لي أن ندخل في صلب الموضوع أريد أن أقص عليكم حكايتي على الرغم من أني كنت أنتظركم لكني تمنيت لو لم تقحموا أنفسكم في ذلك العالم.

لم تعطني فاطمة الوقت لكي أفهم منه ما يقصده فأشارت إليه بالحديث.

***

(3)

أمجد ذلك الصغير المدلل لوالديه الأرستقراطيين مختلفي الديانة، الأب صاحب أكبر المشروعات الاستثمارية إلى جانب الأم سليلة العائلة التركية التي استقرت بمصر وترعرعت في أحضان القاهرة، منذ نعومة أظافره كان والديه يقدمون له كافة سبل العناية والرفاهية التي لم يحلم بها أي طفل في ذلك الوقت فجميع طلباته مجابة خاصة من والده الذي كان يلبي جميع طلباته لكن بحساب واضح وصريح؛ لأنه أراد أن يجعل منه رجل يحمل أرثه وأرث العائلة من بعده على نقيض والدته التي كانت دائمة الشجار مع والده لقسوته في تربية طفلهم الذي لم يبلغ العاشرة من عمره، بدأت مشاكل الصبي تظهر دراسيًّا بسبب رسوبه المتكرر فقرر والده في أحد العطلات الصيفية حرمانه من كل شيء، فما فعله الصبي إلَّا إنَّه تطاول على والده الذي أحب أن يؤدبه نتيجة تطاوله فقام بإحضار الكرباج الخاص به وانهال عليه ضربًا، لم تتحمل الأم ذلك فنهرت والده على ما فعله، حين أصبح شابًا يافعًا كان لا يعرف سوى اللهو واللعب حتَّى في ظل ما كان يحدث ما بين والديه لم يهتم إلَّا بنفسه، لم يعر والديه اهتمامًا حتَّى أصبح كثير الشجار مع والده وأمه التي شعرت بالعجز حين رأت تلك الفجوة تزيد بين الأب وابنه.

أصبح ذلك القصر بمثابة بوابة للجحيم للأسرة المكونة من ثلاثة أفراد، تلك الليلة كانت بداية هلاك الأسرة حين اِكتشف في أحد الليالي بعد مشاجرة عنيفة مع والده بأنه على علاقة بإحدى الغانيات فلما سأله الأب عن كيفية معرفته بذلك الأمر أخذ يكذب كل ما قيل، نظر له الابن باحتقار مبالغ فيه صاعدًا إلى غرفته،

جلس في غرفته يلعن كل ما يربطه بصلة بذلك الأب فدلفت أمه إلى داخل الغرفة تستفسر منه عن ما دار بينه وبين والده ففضل الصمت على أن يتكلم لكي لا يجرح والدته لحين التأكد من صحة الكلام لذلك قرر ترك المنزل في صمت بعد نوم الأبوين تاركًا لهم الحسرة والندم.

***

(4)

- كل ما أسمعه ما هو إلَّا بعض القصص الاجتماعية التي سئمنا من سماعها في واقعنا المرير، أليس كذلك يا فاطمة؟

نهض ذلك الشاب من مكانه مبتسمًا ناظرًا إلينا قائلًا:

- إن كنت تعتقد ذلك فهو محض خطأ كبير منك، أمَّا إن كنت تجهل سبب وجودك هنا فلتعلم أنك في مشكلة أكبر من كل توقعاتك، أما بالنسبة لها فهي الميزان فكن حذرًا معها.

- لم تكن أول منقال لي أني ميزان، لقد سئمت من ذلك التعبير خاصة بعد اختفاء صديقنا وخرقي للميثاق حين حاكمت تلك الدجالة.

هكذا أجابته فاطمة حينما أدار ظهره لنا فنهضنا من مكاننا ناظرين إلى ذلك النهر.

- لقد أعلن الأسياد عن قدومهم، أرأيتم ذلك الحشد هذا هو الفوج الأول الذي يمهد لهم الطريق وهذا كل ما أعرفه الآن، سوف أكمل لكم حكايتي حتَّى أحصل على ذلك الحكم.

- أرجو أن تكمل ما بدأته فلقد بدأ يدب الخوف والقلق بأوصالي، أحمد لا بد أن ننهي ذلك الأمر فلا مجال للرجوع خاصة مع ما يطلق عليهم الأسياد من الواضح أنهم قوى روحية تتحكم في ذلك المكان، لا سامحك الله على ما فعلته بي أنت ومحمد.

نظر ذلك الشاب بغضب شديد إلى فاطمة قائلًا:

- أتعتقدين أن عالمنا قائم على الأرواح الضائعة فقط، أُنظري وتمعني جيدًا فذلك العالم يضم العديد من الأجناس الأخرى التي لم و لن تكن في مخيلتك أن تشاهديها، بسببكم تلك النبوءة قد تتحقق أن لم تنجزوا ما جئتم إليه.

لا أنكر أن كلامه قد جعل القلق والحيرة تتسلل إلى قلبي لذلك أمرت فاطمة ألَّا تتحدث وأن يكمل قصته حتَّى ننتهي.

***

(5)

لا أنكر أني كنت مدلل لأقصى حد، حاول أبي معي كثيرًا لكن أمي كانت تهدم كل ما يحاول زرعه بداخلي باعتباري طفلها الوحيد، كان يطلب مني أن أتعامل ببساطة حتَّى أكسب حب الناس على النقيض الآخر كانت أمي ترفض أن أتعامل إلَّا مع عليه القوم الذين هم على شاكلتنا، كان عذابي الأكبر هو حبي لهم فلم أستطع أن أكون كما يريدون لذلك اِخترت أن أكون كما أريد أنا، لذلك عشت حياتي بكافة ملذاتها، عشت مشوش الفكر فكنت عرضة لأي تيار يقابلني حتَّى وصلت إلى أقصى درجات التشويش حين أعلنت التخلي عن عقيدتي والبحث عن الحقائق، حينها أدركت تلك المشاكل الحقيقية بيني وبين والدي الذي ظل يعنفني على كل أفعالي، لقد سئمت حياتهم بالفعل أبي دائم الشجار معي مشغول في عالمه الخاص عالم المال والأعمال، أمي تلك السيدة الراقية رغم طيبة قلبها لكنها كانت تهتم لمظهرها الاجتماعي أمام أبناء جنسها، ذلك اليوم كانت هي القشة التي قصمت ظهر البعير حين قررت أن أقضي ذلك اليوم بالنادي فقابلت أحد أصدقائي وبعد حديث طويل قرر أن يدعوني إلى حفلة في أحد الملاهي الليلة بمنطقة وسط البلد، لم أكن كبقية جيلي من الشباب فلمْ استهوَ تلك الأماكن لكن مع إصرارهم وافقت على مضضٍ كانت الساعة الحادية عشرة مساءً هممت بالنزول من السيارة حتَّى وجدته...

نعم أنه هو، والدي العزيز صاحب المبادئ والقيم الشخص الذي كنت أراه

مثاليًّا أكثر من اللازم الذي نهرني حين تخليت عن عقيدتي وصمم على رجوعي إلى الطريق المستقيم أي طريق يتحدث عنه؟

حين أخبرني صديقي مرة عن مشاهدته لوالدي في ذلك المكان لم أصدقه لكن باتت الحقيقة واضحة ولا بد من المواجهة، اعتذرت إلى أصدقائي وذهبت إلى ذلك القصر الذي أعتبره بمثابة سجن لي فتحت الباب و كأني دخلت قصرًا مهجورًا، لمْ أرَ أحد من الخدم القصر ساكنًا بلا آية حركة، صعدت إلى الدور العلوي فسمعت حركة غريبة لم أنتبه لها إلَّا حين اقتربت من الباب سمعت صوت ضحكات أمي سيدة المجتمع الارستقراطية التي كانت تدللني باعتباري اِبنها الوحيد، فتحت الباب عنوة فإذ هي في أحضان عشيقها صديق والدي الذي طالما حدثت مشاكل كثيرة بسببه، الصدمة واضحة المعالم عليها هرب عشيقها على الفور وشعرت بأني لا أملك القدرة على النطق، دخلت غرفتي وهي تحاول أن تتكلم معي حتَّى سمعت صوت باب القصر أنه الوالد المبجل، أطلقت عنان غضبي عليه لم أدرِ ما أقوله حاولت والدتي منعي نعتها بأبشع الألفاظ في ظل تهجم وتعجب والدي مني، لم أتحمل ذلك الضغط هربت من المنزل ثلاثة أيام هائم فالشارع تخلي عني جميع معارفي وأصدقائي، تملك مني اليأس فلمْ أقوَ على تلك الحياة فقد اِعتدت على تلك الرفاهية منذ إن كنت صغيرًا، لحظات أثناء عبوري الطريق صدمتني تلك السيارة وانتهت حكايتي.

***

(6)

- بعد إن سمعتم حكايتي لن أخبركم بذلك السؤال إن كنت مذنبًا أم لا لأني أعلم الإجابة مسبقًا لكني أقول لكم أهربا لتنجوا بحياتكم، اِحمي الميزان بروحك فأنت لن تموت واحذر مرايا الشر في طريقك.

- عجيب هو أمرك تعلم حكمك مسبقًا إذن لماذا بقيت هنا؟

نظرت لنا فاطمة في عصبية واضحة وهي تصرخ!:

- كفى هراء لقد أرهقت أعصابي تلك هي المرة الأولى التي كنت لا أتمنى أن أكون فيها هنا، أخبرنا كيف يمكن أن نخرج من ذلك العالم؟

- لا مخرج لكم سوى بالانتهاء مِمَّا بدأتموه لذلك أسرعوا، تذكروا جيدًا أنكم على شفير الهاوية فحاولوا ألَّا تقعوا فيها.

أصوات البوق تصدح من جديد إلى جانب صراخ قادم من كل اتجاه، نظر لنا ذلك الشاب مشيراً إلى تلك الهضبة طالبًا منا الركض سريعًا، منذ مجيئنا هنا نأخذ فقط الأوامر على ما أعتقد، ركضنا سريعًا حتَّى وصلنا إلى تلك الهضبة فصعدنا لها منهكين، نظرت فاطمة حولها فصوبت نظرها اتجاه ذلك الشاب وصرخت حين التفت لها وجدت ذلك الشاب وهو يطعن عدة طعنات من قبل أحدهم في تلك المجموعة التي أتت إليه مسرعة فتحول بعدها إلى رماد مكوم على الأرض ولفظت تلك البحيرة نافورة من الدماء السوداء أغرقت من حولها به، نظرت جيدًا حتَّى أحاول أن أعرف هوية ذلك القاتل، دققت النظر حتَّى تبينت ملامحه..... إنه محمد.

***

"قالوا بأن الصمت لغة العظماء لكن في بعض الأوقات يكون للجبناء، فاختار أيهم تكون ولأي جانب أنت، كن شجاعًا فلا يشغل بالك سوى الحق والعدل، كن ندًا للظلم وأخرج عن صمتك لعلها تكون المنجية لك فلا مكان للجبناء الصامتين في عالمنا، تلك الغابة بقوانينها قادرة على محو إنسانيتك لذلك تفكر وأعقل أنطق بما أنت له، لا تنطق إلَّا بالحق".

الفصل العاشر

(1)

كانوا يأتون من كل صوب وجانب يلتفون حوله فيما كان ممسكًا بذلك السيف الذي طعن به تلك الروح، يصيحون بشدة كأنهم انتصروا في حرب ضارية، يشبهون البشر وما هم ببشر بعضهم يشتعل نارًا آخرين يتساقط لحمهم عن أجسامهم البعض الآخر مسلسلين بسلاسل غليظة من حديد، أيقنت الآن أننا بصدد مواجهة مفزعة خاصة بعد اِنضمام محمد لهم، لم أنتبه إلَّا حين صرخت فاطمة بأن ألقي نظرة على ذلك النهر المقابل لنا فرأيت ذلك الثعبان كبير الحجم والطول يخرج بسرعة فائقة مخترقًا لصفوف الحشد حتَّى أن وصل إليهم والتف حول محمد بشكل ملتوي ثمَّ اِستقر على أكتافه، عقلي قد توقف عن التفكير لم أعد أستطيع أن أتحمل أكثر من ذلك لمْ أدرِ ما العمل في ذلك الوقت لكن تظل تلك كلمة ذلك الشاب أمجد عن الأسياد ترن في أذني، على صوتها فقت من شرودي حين أخبرتني أنَّه يجب مواصلة السير حتَّى ننهي تلك الرحلة الغريبة مع قسمها بإنهاء حياتها المهنية في الصحافة بعد عودتهم، أعلم جيدًا أنها تريد التخفيف عني بعد مشاهدتي لصديق عمري منضم لهؤلاء المخلوقات إلى جانب التغيير الذي حدث في سلوكه منذ أن دخلنا ذلك العالم.

هبطنا إلى الجانب الآخر من الهضبة لا نعلم وجهتنا حتَّى سمعت من ينادي عليّ بصوت مألوف أعرفه جيدا لكني لمْ أعرف من أين يصدر ذلك الصوت؟، سرنا

قليلًا حتَّى سمعنا صوت صراخ قادم من ورائنا، التفتت فاطمة فصرخت بأن هناك بعض من الحشد يتبعنا، ركضنا بأقصى سرعة لنا حتَّى توقفوا عن ملاحقتنا حين وصلنا إلى ذلك المكان لم نجد سوى حفرة كبيرة تضم الكثير من القبور وشواهدها.

- أحمد لقد أنهكت نفسيًّا وجسديًّا لن أقوى على أي شيء، يجب علينا مغادرة ذلك المكان لقد بدأت تلك الرحلة بالمخاطر ولن تنتهي سوى بكارثة، أرجوك يجب أن تتصرف لتجد لنا حلًا للخروج من هنا لا أريد التعيين ولا أريد الصحافة لقد اكتفيت.

انهارت في بكاء طويل يكاد يمزق قلبي فقبلتها على جبهتها ضامًا لها إلى صدري كي أطمئنها.

- لا تقلقي سوف ينتهي كل شيء قريبًا أنا هنا لحمايتك فلا تخافي، لكن يجب علينا أن نكمل أخر مرحلة حتَّى نرجع إلى عالمنا الحقيقي مرة أخرى، أعلم أنك تحملت الكثير فاصبري وكوني معي كما عاهدتك منذ بداية معرفتنا.

أعلم أن كلماتي لم تطمئن قلبها فأنا أعلم الناس بها لذلك صمت حتَّى أعيد ترتيب أوراقي لأجد مخرج من تلك الأزمة، لذلك يجب عليّ التفكير جيدًا فنحن في خطر محقق في تلك المغامرة لا أجد منه مفر سوى أن أخوضها بكل قوتي حتَّى أستطيع إنقاذها هي ومحمد، أعلم أنه طائش لكنه أخي وصديق عمري لكنه رفيقي لا يجب عليّ تركه في ذلك العالم، لفتت نظري فاطمة إلى وجود سلم خشبي يؤدي إلى أرض تلك الحفرة الغريبة، طلبت منها الانتظار هنا حتَّى أكتشف ما حول تلك الحفرة فصممت أن تكون معي في كل خطوة أخطوها لم أرفض طلبها ليس خوفًا عليها لكني أريدها قوية كما هي حتَّى نجتاز تلك المرحلة.

وقفنا على حافة تلك الحفرة نستكشف ما فيها، حفرة عميقة تكاد تكون مظلمة تحتوي على الكثير من المقابر وشواهد القبور كبيرة الحجم لم ننتظر طويلًا

بعد سمعنا أصوات تقترب منا، بدأنا في الهبوط على ذلك السلم الخشبي المسافة طويلة ومتعبة كصعودنا إلى الجبل، أعلم أنه لا يوجد مجال للحديث لكني يجب أزيل بعض من التوتر الذي تملكنا وكأنها تقرأ أفكاري.

- أعلم أنك تحت ضغط كبير وتحت مسئولية رهيبة في الحفاظ على سلامتي، لكن أليس من الغريب أن يكون خوفك مبالغ به بعض الشيء خاصة في تلك الرحلة، ألم تشعر بأن الأحداث تمر سريعًا بعضها لم نفهم منها شيء وخير مثال محمد صديقك، كل ما نراه الآن هل واقع أم خيال؟

- دعيني أجيبك قبل أن نهبط إلى القاع، لا بد لك أن تعرفي أني أفعل كل ذلك من أجلك أنت لأني أحبك لم تكوني لي مجرد حبيبة أنتِ عائلتي الوحيدة التي تمنيت أن أكون فيها لذلك سوف أحافظ عليك بروحي فليس لي غيرك، أعلم أن ما أقحمتك به لم يكن ذنبك لكني لم أعلم أن الأمور سوف تصل إلى هذا الحد لا أخفي عليك سرًا بسبب ذلك الكابوس الذي ظل يراودني لم أذق منه طعم النوم خطرت ببالي تلك الفكرة، لم أعرف لما تمر الأحداث سريعًا لم أجد سبب مقنع لذلك والدليل على ذلك أن ما نراه ما بين الواقع والخيال ألا تتذكري كلام المبروك حين قال تمر الساعة وكأنه دهرًا، هناك الكثير لنكتشفه وها قد اقتربت النهاية سوف نعود إلى حياتنا الطبيعية من جديد.

- قلبي يحدثني بأن الأمور لن تسير كما في مخيلتك لقد خرقت العهد ومحمد قد شرد منا، كلمة الميزان التي رددها بعضهم لي ألا يوحي لك بشيء؟

- فاطمة لقد واجهنا الكثير من المخاطر والصعاب سويًا فلا تدعي شيء يقلقك ألا تتذكري حادثة العرافة منذ خمسة أشهر حين تنبأت بموتك في رحلتنا ولم يحدث شيء كلها مسميات، لذلك لا داعي للانزعاج سوف نجد الحل لنعود إلى عالمنا الطبيعي ونكتفي بهذا القدر من المغامرات.

- لم أحصل منك على إجابة وافية يستطيع عقلي وقلبي أن يطمئنا بها لذلك يجب عليك أن تجيبني إلى جانب أن تروي لي ذلك الكابوس، أنا شريكتك من حقي معرفة كل ما يجري من حولي لأن كل ما أشعر به الآن أنك ومحمد أقحمتموني في كابوس كبير لا ينتهي، في مكالماته الأخيرة كان قلبي مقبوض منه كان يتكلم بأسلوب غريب جدًا وكأنه هو أنت لذلك وافقت على خوض تلك المغامرة حتَّى أعرف ما يدور بينكم والسبب الأكبر هو أنت.

أعلم أني في مأزق شديد إلى جانب تعجبي من لهجتها كأنها تتهمني بما نحن فيه، تلك هي المرة الأولى منذ ارتباطنا أن تتحدث معي بتلك الطريقة وما تقوله عن محمد ومكالماته التي لم أعرف عنها أي شيء لكني مضطر أن أجيبها حتَّى تهدأ ثورتها لكن بداخلي ثورة عارمة من الغضب لن يخمدها سوى ملاقاة محمد.

- لا أعرف معنى كلمة الميزان لذلك لا تشغلي عقلك بذلك الهراء فسوف نجد مخرجًا من هنا لكن ما استنتجته أنهم يقصدون أنك ميزان عدل كفة بين الخير والشر، أمَّا ذلك الكابوس فهو ليس أكثر من حلم مزعج ليس بالأهمية القصوى التي تستدعي أن أقصه عليك هنا في ظل تلك الظروف، أشعر أني في تحقيق نيابي و.....

قطعت كلماتي حين سمعت وقع أقدام أعلانا فرأيت ذلك الحشد يقف بشكل دائري حول حافة تلك الحفرة التي نحن بصدد الهبوط إلى قاعها، نظرت فاطمة لهم حتَّى ظهر محمد من وسطهم على وجهه ضحكة أشبه بضحكات الشياطين لذلك هبطنا سريعًا إلى قاع تلك الحفرة وسط المقابر وشواهدها، مكان كئيب لأقصى درجة ممكن أن تتخيلها أرض صحراوية رمالها داكنة يتخللها قبور موجودة بطريقة عشوائية إلى جانب شواهد القبور الضخمة الصنع مصنوعة من الرخام يتخللها بعض من أسماء أصحاب تلك القبور هنا في تلك الحفرة عالم غير

العالم لا أعلم متى النهاية؟!، أمسكت يد فاطمة بقوة نشق طريقنا بين المقابر في سير عشوائي لا نعلم متى نتوقف؟!، كان هناك تمثال ضخم لسيدة معصوبة العين يلتف حولها ثعبان ضخم حين بدأنا السير مرة أخرى وحتَّى عدنا مرة أخرى لنفس المكان الذي وجدنا به التمثال عدة مرات على هذا الحال بكت فاطمة على ما يحدث فلقد جن عقلها فطلبت منها أن نجلس بجانب التمثال لنستريح قبل أن نواصل السير من جديد، جلسنا على الأرض ساندًا ظهري على ذلك التمثال حتَّى وجدتها تنام على صدري كطفل صغير ما هي إلَّا دقائق معدودة حتَّى غطت في نوم عميق.

***

(2)

تركض بأقصى سرعتها في المقابر لا تدري أين تختبئ خلفها الكثير من أبناء الحشد المسلسلين يهتفون باسم الأسياد ويحاولون القبض عليها، أصرخ عليها بجنون من أعلى ذلك الجبل لكن صوتي محبوس بداخل حنجرتي ما هذا الجنون؟ ما زالت تركض حتَّى توقفت عند ذلك الباب الخشبي الضخم الذي يحتويه سور متهالك من الحجارة المتآكلة، حاولت فتح الباب مرارًا وتكرارًا حتَّى لحق بها بعض منهم فهم واحد منهم أن يمسكها فوجدوا الباب يفتح على مصراعيه وذلك السيف يخرج منه مصوب إلى عنقه فسقط أرضًا وكأنه سائل لزج وسط صراخ باقي أبناء الحشد من جاءوا خلفها، شاب طويل مفتول العضلات غير واضح المعالم حين شاهدوه ركضوا بعيدًا عن ذلك الباب دلف بها إلى ذلك المنزل الذي يحتوي على حديقة جرداء ضخمة في آخره منزل أثري متهالك في بهوه ذلك تمثال رخامي ضخم.

حاولت جاهدًا النزول إلى الأسفل حيث امتلأ المكان بالحشد المسلسلين لكن قدماي كانتا مقيدتين بقيد حجري لا أستطيع الخلاص منه، وجدتها تمسك يده بطمأنينة شديدة وتمشي بجانبه وخلفهم يشتعل بلهيب أزرق داكن ودخان كثيف حتَّى اختفيا عن الأنظار، مرت دقائق معدودة حتَّى اِنقشع ذلك الغبار فوجدتها في دائرة من الدماء السوداء مسلسلة من أيديها وأقدامها مقطعة الملابس تحاول الفرار حتَّى تجد ذلك السوط الوحشي يهبط سريعًا على جسدها الضعيف حاولت الصراخ فلم تعرف لأن الفم تمت حياكته بخيط أسود وعلى جسمها بعض الرموز التي لمْ أستطع تبينها وذلك التمثال الضخم من الرخام يتحرك نحوها إلى جانب ذلك الصوت الذي يدعوني إلى الاستيقاظ.

***

(3)

نهضت فزعًا حين قام أحدهم بركلي في قدمي عدة مرات فوجدت فاطمة بجانبي متسمرة تنظر إلى ذلك الشخص، وجهه مألوف جدًا صاحب بنية متوسطه الطول صاحب بشرة خمرية وشعر مهندم يرتدي جلباب رمادي اللون حاملًا مصباح جاز، ظل يحدق بنا فنهضت من مكاني قائلًا له:

- ألم نتقابل من قبل؟

استدار قائلًا:

- اِنهضا من مكانكم واتبعاني.

- لقد سرنا هنا عدة مرات في كل مرة نرجع إلى ذلك التمثال وقد أنهكت قوانا فغفونا قليلًا من التعب.

- لم أطلب منك أن تتحدث أيها الغريب على الأقل الآن، اِطمئن قليلًا أنت ومن معك فأفراد الحشد لن يستطيعوا الهبوط إلى هنا.

سرنا طريق ليس بطويل حتَّى وصلنا إلى كوخ خشبي قديم فتح بابه ثمَّ أمرنا بالدخول بعدها أغلق الباب، كوخ بسيط للغاية يحتوي على سرير متهالك تحته فأس وجاروف إلى جانب تلك الأريكة بالية المعالم مع مصباحين جاز مضيئين، دخل ذلك الرجل واضعًا المصباح على حافة النافذة ثمَّ جلس على حافة الفراش بعد أن أمرنا بالجلوس مبتسمًا، نظرنا إلى بعضنا لعل أحدنا يبدأ الحديث.

- تائهين في بحور التيه والشك عاجز عقلكم عن الفهم إدراك الواقع الذي تمرون به، لكنكم لا تدركون قيمتكم ومكانتكم هنا لذلك لا تتعجلوا بالنهاية فدوركم قد بدأ الآن لكن قبل ذلك يجب عليكم أن تسمعوا حكايتي أنا الروح الخامسة.

نظرت فاطمة له في تعجب واضح قائلة:

- كيف عرفت أنك الروح الخامسة التي نبحث عنها؟

- لمْ يستطِعْ أحد الوصول إلى تلك الأرض فبوجودكم هنا تبدأ النبوءة.

لمْ أستطِعْ أن أتمالك نفسي أكثر من ذلك نهضت من مكاني قائلًا له:

- نبوءة مغامرة حكايات اجتماعية، ما الذي اِقحمنا أنفسنا فيه؟ يجب عليك أن تساعدنا للهروب من هنا والعودة إلى عالمنا.

نظر لنا ذلك الرجل بعد أن أخرج لفافة التبغ من جلبابه وأشعلها قائلًا:

- من قال لكم أنكم أتيتم باختياركم، القدر هو من ساقكم إلى هنا و لا مفر منه فالنبوءة سوف تتحقق بكم لذلك اِستمعوا إليّ جيدًا حتَّى أنهي كلامي.

***

(4)

طفل صغير يبلغ من العمر 5 أعوام قادم من أقصى صعيد مصر نشأ في كنف والده الشيخ منصور أشهر تربي ومغسل موتي في صعيد مصر حيث نزح هو وعائلته إلى القاهرة بحثًا عن فرصة عمل توفر له لقمة عيش أفضل، نزح إلى عدة مناطق بحثًا عن توفير لقمة العيش له ولأسرته حتَّى استقر في أحد الحارات الشعبية وهناك أخبره أن أحد المصانع المملوكة لأحد رجال الطبقة العليا يطلب عمالًا، ذهب هناك على الفور حيث شغل تلك الوظيفة كعامل كان صاحب المصنع قاسي الطباع والأخلاق لا يعرف الرحمة مع ذلك كان العمال يخلصون في عملهم على الرغم من قلة الراتب لكنهم فضلوا العمل على أن يتم تشريدهم على أمل أن يشعر بهم ظل بهم الحال عشرة سنوات وكان الطفل خليل يرى في والده المثل والقدوة التي يحتذى بها فالتحق مع بالعمل في ذلك المصنع، تمر الأيام فيتوفى صاحب ذلك المصنع الذي كان يملك ابنًا واحدًا، في منتصف الليل وتعلن حالة الحداد في صباح اليوم التالي لم يجدوا مغسلًا له فسمع عمال المصنع ذلك من المدير فتقدم الشيخ منصور إلى المدير الذي علم أن أساس مهنته هي تغسيل الموتى فذهب معه بصحبة ابنه خليل، ذهبا إلى القصر كان الكل متشح بالسواد استقبلنا ابنه على باب القصر بعدها قادنا إلى الغرفة الموجودة بها الجثمان، قام الشيخ بإخراج معداته إلى جانب تنبيهه لولده أن يكون بقربه ليساعده كانت تلك المرة الأولى لذلك الطفل أن يرى جثة ميت تغسل وتكفن، بعد أن أنهوا عملهم خرجوا مع الجثمان متجهين إلى المقابر، الغريب حين وصلنا المقابر لم يجدوا سوى

ذلك التربي العجوز فأخبره أنه سوف يساعده هو وولده، بعد أن قاما بدفن جثمان الباشا طلب ذلك التربي من الشيخ منصور وولده أن يعملا معه مقابل مبلغ مالي لا بأس به بل أكثر من الراتب الذي يتقاضوه في المصنع فوافق على الفور لكن خليل لم يكن سعيدًا بذلك، مر أكثر من عشرة أعوامًا أخرى حتَّى أصبح فيها خليل هو المسئول عن تلك المقابر بعد وفاة والده فأصبح هو التربي الوحيد المسئول.

***

(5)

- لقد سئمت من تلك الحكايات الاجتماعية، كل ما تقابله هراء أشعر كأني في مقلب سخيف مدبر لي.

نظرت له بغضبٍ شديد إلى جانبي فاطمة التي حاولت تهدئتي لكنها لم تفلح.

- أنت هنا بسبب قدرك ومن معك، تنفذ ما جاء في تلك النبوءة وتسمع لتلك الأرواح التي أنا من ضمنها فلا تدع مجال لكل تلك العصبية أن تتملكك فما سوف تلاقيه ليس بهين.

- أرجوك أخبرنا ما تلك النبوءة ولماذا نحن؟

قالتها فاطمة ناظرة إليه في استعطاف واضح المعالم وعيناها تملئهم الدموع لكني تلك المرة عاجز عن مسحها خاصة أنها هنا بسببي أنا.

- قلت لكِ أن قدركم هو ما ساقكم إلى هنا، تحبون إعادة الكلام كثيراً وأنا لا أحب الإطالة إن كنتم تريدون معرفة النبوءة دعوني أنتهي من سرد حكايتي لكم حتَّى تكتمل تلك المرحلة.

لقد سئمت من كل هذا لكن لا بد أن تكتمل تلك الحكاية أعلم ذلك، نظرت له بغضب واضح وأخبرته بأن يستمر في الحديث حتَّى نصل لنهاية تلك المرحلة كما قال، أخرج تلك اللفافة مرة أخرى وأشعلها قام من مجلسه متجهًا إلى تلك النافذة الصغيرة قائلًا:

- لن يستطيعوا الهبوط، الأسياد تعلم أنكم هنا وبمقابلتي سوف تبدأ النبوءة في التحقق.

- إذن أكمل أرجوك لا تطيل الوقت.

قالتها وهي ترتجف فنظرت لها بغضب واضح، لاحظ ذلك الشخص نظرتي لها فقال:

- ما تمر به الآن هو الطبيعي فدعها تخرج ما بداخلها ولا تكن أحمق فالقادم أسوأ اِستمع وركز جيدًا.

***

(6)

منذ وفاة والدي وأصبحت أنا المسئول الوحيد عن تلك ذلك المربع الضخم من المقابر بما فيهم فناء الباشا الكبير، تزوجت حينها من تلك الفتاة القروية التي جاءت من أرياف مصر إلى القاهرة باحثة أيضًا عن عمل يوفر قوتها هي ووالدتها كانت حياتنا هادئة بعض الشيء، لم أنجب منها أي أطفال لكني كنت سعيدًا بحياتي معها لكن من الواضح أن والدتها كان لها رأي آخر فكانت دائمة القول بأن هناك عمل سفلي قد عقد لنا حتَّى لا ننجب فترددت على الدجالين في ذلك الوقت، وصفت لها إحدى الدجالين بأن الحل هو وضع عمل سفلي معاكس للعمل الآخر ودسه في فم أحد الأموات وحياكة فمه بذلك الخيط الأسود، أتذكر تلك الليلة حين أتى إليّ بعض الشبان يطلبوا مني فتح باب المقابر لكي يدفنوا صديقهم الذي تُوُفِيَ في حادث سيارة أمس، بالفعل ثلاث ساعات حتَّى وصل الجثمان مع شروق الشمس بعد أن أخذت الأوراق والتصاريح اِتضح لي أنه حفيد الباشا لكن لا أحد معه حتَّى أفاجأ باختفاء أصدقائه حين فتحت المقبرة، إذن من سيساعدني في دفن تلك الجثة خرجت من المقبرة فإذ بوالدة زوجتي تقول لي أنها سوف تساعدني لم أكذب الخبر حتَّى بدأنا في الدفن بعد أن هبطنا بالجثمان إلى القبر تذكرت أني نسيت بعض من أدواتي في حجرتي فذهبت لإحضارها سريعًا بعد أن جلبت ما نسيته في الغرفة وجدت حركة غريبة بداخل القبر نزلت مسرعًا فوجدت وكأنها تضع شيء في فم الميت، صرخت عليها فارتبكت حتَّى ارتطمت رأسها أخرجتها من القبر ثمَّ أغلقته على ذلك الشاب.

مر أسبوع كامل على وفاة ذلك الشاب كان الفجر على وشك أن يأذن له وكنت جالسًا خارج الغرفة على الطرف الآخر من الطريق أستمتع بلفافة التبغ وبجانبي زوجتي سمعت صوت صراخ عالي يصدر من الغرفة ركضنا سريعًا فهالني ذلك المشهد حين رأيت شيخ كبير السن متشح بالسواد وهي أمامه تلتهما النار، حاولت الدخول إلى الغرفة لكن كان هناك شيء يمنعني وكأنه حاجز منيع أمَّا زوجتي فقد أغشى عليها بعد أن باءت محاولات صراخها بالفشل، نظر لي ذلك الشيخ نظرة لن أنساها أبدًا واختفى ما زالت الجثة تحترق حتَّى تفحمت وأصبحت رمادًا، دارت الأسئلة في عقلي ما الذي فعلته لتلقي ذلك المصير على الرغم من أنها سيدة كبيرة السن طيبة القلب، لم تتحمل زوجتي فراق أمها فتوفت بعدها بخمسة أشهر حتَّى صرت وحيدًا مجددًا.

في تلك الفترة قابلت الكثير والكثير حتَّى بعضهم ما زلت أتذكر قصصهم جيدًا، لا أعلم ما الذي فعلوه في الدنيا حتَّى يلاقوا تلك الميتات والنهايات التي يدمى لها القلب، لا أعلم لكني كنت في كل مرة أجد البشارة من ذلك الرجل على نفس الهيئة حين ينظر لي وللشخص المعاقب وكأنه ملك منزل من السماء، تلك الليلة كان الجو قارص البرودة محملًا بأمطاره الغزيرة دلفت إلى غرفتي سريعًا جلست على الفراش حتَّى مددت جسدي وغطت في نوم عميق.

أنها المقابر التي أحرسها الجو ما زال ممطرًا لكن ما تعجبت منه هو أن طريق المقابر مضاءة بنور غريب ما أن وصلت إلى نهاية الطريق حتَّى رأيت ذلك الشيخ لكن في لباس أبيض لم أعهده من قبل عن ما شاهدته من قبل نظر لي مشيرًا لي بالتقدم، سرت شاعرًا بسكينة في القلب وطمأنينة غير عادية، حين وصلت له وجدته اِختفى بحثت حولي حتَّى وجدته واقفًا على باب تلك القبة يناديني ركضت إليه قائلًا:

- لقد وقع عليك الاختيار لتكون حامل للنبوءة ونسر من نسور الله.

فتح باب تلك القبة فدلف بداخلها وكأنه فتح باب من النور دقائق معدودة خرج حاملًا كتابًا مكتوب عليه: "نبوءة العهد" كتاب أسود اللون مكتوب عليه بماء الذهب يحمل تلك النبوءة، طلب مني اِتباعه سرنا حتَّى وصلنا إلى صخرة كبيرة حفر تحتها ووضع الكتاب به وأخرج خاتمه بجانب الكتاب قائلًا:

- أعط خاتم الشيخ العارف إلى صاحب القدر، أن وصل أرضك تبدأ النبوءة، اِستعد للارتقاء في سبعة أيام بسبع ليالٍ.

وقفت صامتًا لا أدري ما أقوله اِختفى من أمامي ورأيت ذلك النجم يلمع في السماء.

استيقظت وباشرت يومي الطبيعي لمدة ست أيام، اليوم السابع استيقظت على صوت الشيخ مسعد استعدادًا لصلاة الفجر، كان صوته عذبًا للغاية لم أعهده من قبل نهضت من الفراش متجهًا إلى باب الغرفة لكني وقفت متسمرًا فجسدي ما زال على الفراش، فتح الباب فدخل منه ذلك الشيخ ومن خلفه أربع غلمان اِبتسم الشيخ لهم فشاهدتهم يغسلون جثماني لم أتمالك نفسي فأمسكني ذلك الشيخ قائلًا:

- لقد ارتقيت فهنيئًا لك يا حامل النبوءة، اِنتظر صاحبها الأصلي في أرض الظلام كن له دليلًا حتَّى إن جاءك فأعطه الأمانة وانتظر البشارة .

تلك هي حكايتي وذلك هو قدري فلا مفر من القدر أو الموت فهما وجهان لعملة واحدة.

***

(7)

كنت أعلم أنَّه هو لم أتعجب حين سمعت كلامه لكن ما يثير الفضول في نفسي كيف لروح مثله تتمثل لنا في العالم الحقيقي، نظرت إليّ فاطمة التي نهضت من مكانها قائلة:

- أنه أنت المجذوب الذي أتى بنا إلى الشيخ مبروك العارف، أليس ذلك صحيحًا؟

نظر لنا ذلك الشخص مبتسمًا متكأً على فراشه قائلًا:

- ما فائدة أن تعرفي من أنا، هل هو لمجرد تشابه الأسماء؟ أتمنى أن تصبوا تركيزكم على ما هو قادم فالنبوءة ليست سوى قدر ملعون ساقكم إلى هنا لذلك يجب عليكم الحذر في خطواتكم القادمة فأي خطوة خطأ قد تودي بحياتكم إلى التهلكة وتغير مصير كل واحد منكم على حدة.

- إذن أخبرنا عن تلك النبوءة وما تحتويه، لماذا نحن دون عن باقي البشر تمَّ اختيارنا؟

- إن كنت تريد حقًا معرفة تلك النبوءة فيجب عليك أن تعلم بمجرد حصولك على ذلك الكتاب والخاتم تكون هي البداية الحقيقية فلا يستطيع أحد أن يمسك ذلك الكتاب، أو يقرأه غيرك فأنت المفتاح وهي طوق النجاة فإن حافظت عليها سلمت وإن أهملتها هلكت، أتبعوني ولا تخطوا أي خطوة قبلي.

نهض من فراشه ممسكًا بذلك المصباح فطلب مني أن أجلب ما تحت الفراش من أدوات بعد أن جلبت ما طلبه مني وقف على الباب مشيراً لنا بالقدوم خلفه

سرنا خارج الغرفة إلى ذلك الطريق مرة أخرى يسير أمامنا ببطيء شديد ويتمتم بكلمات غير مفهومة لنا، ما أن وصلنا إلى ذلك التمثال نظر لنا قائلًا:

- هنا سر النبوءة ابدأ بالحفر في تلك المنطقة.

نظرت لي فاطمة فأمسكت الجاروف وبدأت الحفر في الأرض بجانب التمثال من جهة اليمين، مر حوالي عشر دقائق من الحفر ظهر ذلك الصندوق الخشبي فمد يده لالتقاطه بعد أن نظر لنا قائلًا:

- ها هو السر المدفون تعالوا معي إلى الغرفة مرة أخرى حتَّى أشرح لكم ماهية ما أنتم مقدمون عليه.

نظرت لي فاطمة مطالبة لي بدقائق على انفراد فهز الشيخ رأسه بالموافقة، سرنا معًا بضع خطوات خلف ذلك التمثال كان آثار القلق والإجهاد واضح على معالم وجهها بعد تلفتت حولها لكي لا يسمعها أحد نظرت لي قائلة:

- هل تصدق ذلك الرجل؟ ألم يطلب منا ذلك الشيخ أن نلتزم بالميثاق وما تلك النبوءة لم يخبرنا عليها المبروك قبل أن نأتي إلى هنا؟ لا أشعر بالارتياح لذلك الرجل أرجوك دعنا نرحل الآن لم أعد أحتمل.

- أنصتي لي جيدًا من الواضح صدق حديثه وهذا آخر أمل لنا للخروج من ذلك المكان دعينا نكمل معه، سوف نعرف كل ما يدور حولنا ولا تنسي أنه خليل النسر الذي قادنا إلى هنا فبالتأكيد يعرف جيدًا كيف يخرجنا لعلنا نجد معه طريقة لإنقاذ محمد.

- محمد؟؟؟؟ أمازلت تفكر في كيفية إنقاذه، أحمد نحن في مأزق حقيقي لا بد أن نجد حلًا للخروج منه، ذلك الشخص لا يريحني وسوف أثبت لك ذلك.

لم أنتظر كثيرًا فأدرت لها ظهري متجهًا إلى ذلك الشخص فأبتسم لي بعد أن

طلب مني حمل ذلك الصندوق، لم أتردد فقمت بحمله حتَّى وصلنا إلى تلك الغرفة مرة أخرى فوضع المصباح قائلًا:

- بات الأمر محتومًا فالقدر قدر محتوم مسجل من قبل أن تأتي فلا تتردد واستعد، أمَّا أن تسلك الطريق الصحيح أو تواجه مصيرك ومن معك.

***

"يكتب قدرك من مولدك إلى مماتك عن ماهيتك عمرك عملك كل ما يخصك، لذلك إن أمنت بالقدر سلمت من شر ملاقاته وإن كان خيرًا، لذلك وجب عليك إدراكه حقيقة مسلم بها فلا يغرنك من الأمر شيء فحكم عقلك حين يأتي القدر فلا مفر من قضائه وإن كان موتًا مسلم به على أهل الكون".

الفصل الحادي عشر

(1)

أتذكر تلك الفترة جيدًا حين اِشتد الخلاف بيني وبين محمد بعد أن صارحته بعزمي على الزواج من فاطمة تغير حاله وتبدل إلى الأسوأ فكأن هناك شيء غامضًا يخفيه، ذلك اليوم الذي لكمني فيه في وجهي وترك المنزل لمدة خمس أشهر مع ذلك كنت أنتظر عودته على الرغم من تحذيرها لي لكني كنت أخبرها أنه أخي فكيف يمكن لي أن أستغني عنه، أعلم أنها لم تقتنع بكلامي لكنها كانت ترضيني لعلمها الشديد بتعلقي به على الرغم ما كان يسببه من مشاكل في مختلف النواحي خاصة معها لذلك كانت مقابلاته معها محدودة للغاية، كان دائمًا يرى أنه على صواب لا يريد من يعارضه أو يمنعه عن شيء أراده، عصبي للغاية يظن أنه أذكي الناس على الرغم من أخطأه الفادحة مع كل ذلك كنت أرى أنه طيب القلب لكن ظروفنا تلك التي عشنا بها جعلت قلبه مغلف بالقسوة والشك، حين أشركته في رحلاتنا السابقة كنت أراه يتعمد أهناتي بطريقة غير مباشرة مع التجريح إلى جانب أنه كاد أن يتسبب في موتنا عدة مرات وكان تحذير فاطمة لي في أحد الرحلات حيث اتفقنا على شيء معين فخالفه وتلك هي ليست المرة الأولى لذلك قررت عقد هدنة مع نفسي حتَّى أصلح ما تمَّ إفسده لكن في الوقت الحالي أعلنت فشلي وأصبح كل همي أن أحميها إلى أن نرجع إلى عالمنا.

شرد بوقت ليس بقليل حتَّى لاحظت بذلك الشخص يربت على كتفي ليوقظني

من شرودي بعد أن دلفنا إلى داخل الغرفة وجلسنا صامتين لبعض الوقت، وضع ذلك الصندوق على تلك الطاولة الصغيرة البالية ناظرًا لنا قائلًا:

- قبل أن نبدأ يجب عليك أن تفهم بمجرد ما يتم فتح ذلك الصندوق سوف تكون أنت صاحبها في ذلك الوقت ينتهي دوري ويبدأ دورك الحقيقي إلى جانب الميزان فإياك أن تميل معها وإن مالت بل كن لها كالكفوف متساوي!

نظرت له فاطمة بتعجب واضح وهي تتسائل:

- الميزان؟!، لماذا أشعر بأني حلقة الوصل في كل ما يحدث ألم تقل أن تلك النبوءة تخصه فقط؟

- الآن افتح الصندوق واقرأ ما فيه فلن يستطيع أحد قراءته إلَّا أنت لذلك اِرتدي الخاتم.

هممت بفتح الصندوق فأمسكت فاطمة يديّ بقوة تمنعني عن فتحه قائلة:

- أنسيت ما قاله الشيخ المبروك عن اللوامع والكتابات يكفي ما حدث من خرق للميثاق دعنا نعود يكفي ما حدث.

نظر لها ذلك الشخص قائلًا:

- قلت لك أنك ميزان تضعي الاختيار لصاحبه ولأي كفة لا يميل.

بدون تردد قمت بفتح الصندوق أخرجت ما فيه وكأن هناك شيء ما يحركني بدون وعي، كتاب قديم منقوش عليه بماء الذهب بلغة غير مفهومة إلى جانب ذلك الخاتم الفضي الغريب، نظر لي ذلك الشخص إلى جانب نظرات الخوف في عيونها جعلتني أضع ما أخرجته على تلك المنضدة ناظرًا لها في محاولة لطمأنتها.

- أعلم جيدًا أنك هو المجذوب في العالم الحقيقي خليل النسر، كل ما أريد أن أعرفه كيف لك أن تكون في عالمنا على الرغم من أنك روح هنا في عالم الظلام؟

- أنت تعلم الإجابة لكنك تجهل القول لذلك لن أطيل عليك حيرتكما خاصة أنت عندما تقرأ ذلك الكتاب سوف تعي جيدًا ما أقوله وما مقصدي، نعم أنا هو من تقصد لذلك اِقرأ الكتاب كي يتثني لك معرفة الحقيقة فما الفائدة إن أخبرتك؟

نظرت إليّ فاطمة التي أشارت برأسها بالموافقة على الرغم من مخاوفها إلى جانب مباركة ذلك الرجل خليل النسر أمسكت الكتاب في يديّ لكن قبل أن أفتحه نبهني أن أرتدي ذلك الخاتم الفضي المنقوش عليه بلغة غير مفهومة، ارتديت ذلك الخاتم حتَّى ظهرت تلك الكلمة المنقوشة لي جيدا "المختار" حين هممت بالكلام أشار عليا بالصمت ومتابعة ما أفعله، أمسكت الكتاب حتَّى ظهرت ذلك الكلام وهو: "نبوءة المختار ونهاية عالم الظلام أسياد الجحيم"، نظرت له قائلًا:

- أستطيع قراءة ذلك الكلام جيدًا، بدأت أتيقن من صدق كلامك لكن ما أريده الآن هو أن أخرج فاطمة من ذلك العالم.

نظرت لي غضبًا قائلة:

- كل ما تفكر به الآن هو كيفية إخراجي من ذلك العالم، لقد خرقنا ميثاق العهد بالكامل حياتنا مهددة وأنت تفكر في خوض مغامرة جديدة، ألم نتفق على الخروج من هنا بعد الروح الخامسة التي أخبرنا بها الشيخ مبروك؟

- ميثاق العهد لمْ يكنْ سوى بوابة عبور لكم إلى ذلك العالم، أخبرتكم أن ما سوف تخوضونه هو قدركم المكتوب فلا مفر منه، بارتدائه الخاتم أصبح الخروج ممنوع ويجب عليهم إنهاء تلك المهمة ولو كانت بموت أحدكم.

تلك الكلمات الأخيرة كانت بمثابة صدمة لي لذلك قمت بفتح الكتاب ذو الأوراق القديمة البالية بعض الشيء.

" من الإمام العارف الكبير إلى السيد المختار.

بعد سلام الله ورحماته....

أعلم أن قدرك محسوم وعمرك ممدود إلى أن تتم رسالتك، مكتوب اِسمك في صحفنا من منذ يوم مولدك إلى يوم مماتك، ميثاق عهدك قد ساقك إلى عالم الظلام فلا مفر منه أنت ومن تبعك لذلك وجب عليك قيادة من تبقى منهم فمعك الميزان والمفتاح فأحذر أحدهم أن يسوقك إلى حافة الجحيم تلك الهاوية التي سوف يخرج منها الأسياد.

هم أبناء قاع جهنم سكنوها لقرون وعاشوا بها إلى أن تملكوا إحدى بواباتها في انتظار خادمهم لفتح البوابة والسماح لحشودهم بالخروج إلى أن يأذن لهم من ملكهم بالخروج فيعيثوا في الأرض فسادًا، دمار سوف يحلق بكل من تبعهم إلى أن يكونوا قرابينهم لسيدهم الأكبر.

وجودك يؤرق منامهم ويهز عروشهم فيجب عليك أن تعلم أنك بصدد حرب تكاد أن تكون أشبه بنهاية العالم لذلك وجب عليك مواجهتهم بالاستعانة ببركات الأولياء الصالحين حتَّى إن لم تكن منهم، فقدرك ساقك أن تكون منقذ العالم الحقيقي من تلك البوابة بأبنائها وإن لمْ تكنْ مستعدًا فيجب عليك الهروب بعد نحر رقبة خادمهم أو إرساله إلى بوابة الجحيم.

أعلم أن خادمهم ليس سوى جسد بلا روح لشخص بغيض القلب متحجر المشاعر الذي خالف القوانين والأعراف لمصلحته وأن تملك من جسده أحد الأسياد، روحه غابت في نار الجحيم لذلك كن على حذر أثناء قتالك معه فسوف يستخدم كل الأساليب معك لجرك إلى تلك الهاوية.

بداية حربك من هنا عالم الظلام الأبدي فاختر أي الطريقين تسلك ومن معك فالبابان موجودان فاختار أيهما تسلك ولا تحاول أن تعدل قدر غيرك فيصبح باب خروجك إجباري، تعيش حياة غير الحياة لا تعرف ماهيتك أو حقيقتك إن ظهرت علامات الأمارة سوف تجهلها إلى أن يأتيك بيان الحق وتبدأ المعركة من أحد أبواب

الدنيا تفقد فيها كل غالي وعزيز، لن يبقى سوى أنت من تقود تلك المعركة أمَّا أن تستمر الحياة أو يأذن بالنهاية.

بارتدائك للخاتم أصبحت أنت صاحب النبوءة المختار لها، لن يعرفك سوى من يؤمن بتلك النبوءة إلى جانب أن تلك اللغة المنقوشة عليها لن تظهر إلَّا لأتباعك في المعركة الكبرى أيًّا كان جنسهم.

إن قرأت ما يحتويه الكتاب فسمي بما هو مكتوب لك وتقبله.

الإمام العارف الكبير".

***

(2)

بعد أن اِنهيت قراءة ذلك الكتاب نظرت إلى من حولي فالغرفة فلم أجد سوى السكون في وجه فاطمة وابتسامة على وجه خليل النسر قائلًا:

- سوف أخبرك بما لا تريد البوح به، نعم أنا خليل النسر الخادم للإمام العارف الكبير عشت حاملًا لتلك النبوءة وخادمها إلى أن أسلمها لك، كما أخبرني الأمام العارف هو وجودي في العالمين لسبب معين وهو العثور على صاحب النبوءة بوجودك أتممت مهمتي لكني سأظل معك إن احتجتني إلى أن تخرج من ذلك العالم وهنا سوف أستريح بجوار الإمام تلك الراحة التي طالما تمنيتها إلى ميعاد المعركة الكبرى لذلك يجب عليك أن تمضي في طريقك الآن الحرب أصبحت على وشك البداية.

نظرت إلى فاطمة التي نهضت من مكانها قائلة:

- إن كان ذلك هو قدرك فلتفعل ما شئت لكن يجب عليك أن تعود بي إلى بيتي وعالمي لقد سئمت، لم أعد أتحمل فإن كان قدري هو الموت فلن أموت في ذلك العالم مهما حدث.

أشرت لها برأسي بالموافقة على كلامها لكسب هدوئها حتَّى لا يتطور الأمر أكثر من ذلك، نظرت إلى خليل الذي فتح باب الغرفة قائلًا:

- امضي في طريقك الآن واحذر أن تفقدها سوف تجد طريقك وحدك حتَّى مبلغ النور.

خرجنا من الغرفة إلى ذلك الطريق مرة أخرى حتَّى اِلتفت له قائلًا:

- ماذا عن الأسياد وأعوانهم؟

- سوف تكون ندا لهم ببركة العارف لكن لا تفقد ميزان فيختل توازنك ولا تغير في الأقدار فتهلك.

لم أكذب الخبر حتَّى أمسكت يد فاطمة نسير في الطريق رجوعًا إلى ذلك السلم الذي يقودنا إلى أعلى الطريق خطواتنا التي نسيرها يختفي معها تلك القبور وشواهدها أصبح الأمر مقلقًا للغاية، بدأت أصوات الحشود تظهر من جديد لكن تلك المرة لم أكن خائفًا فاطمة خلفي تسير صامته وصلنا إلى ذلك السلم الخشبي صاعدين إلى أعلى لم نتكلم طوال مدة صعودنا إلى أن وصلنا لم نجد أثر لذلك الحشد.

***

(3)

أتذكر ذلك اليوم جيدًا حين أخبروني بذلك الحادث المروع الذي لحق بفاطمة وأسرتها في بداية دخولنا الجامعة لم أكن على علاقة وطيدة بها لكني شعرت بواجب نحوها لمْ أدرِ ما هو، سئلت عن تلك المستشفى التي يتواجدون بها، ذهبت لها في زيارة غير متوقعة كنا في بداية الفصل الثاني من الدراسة للسنة الأولى لنا، زميلاتنا كانوا متواجدين هناك فتفاجئوا بوجودي ومن خلفي صديقي محمد حين دلفنا إلى غرفتها ألقيت السلام على من حولي بعدها وقفت بجانب فراشها أتحدث معها بصوت خافت، نظراتنا كانت تفضحنا لمْ أدرِ لما تلك الفتاة؟

شعرت أني أنجرف نحوها أخذني الحديث معها حتَّى نبهني محمد بضرورة الذهاب حتَّى نلقي بالسلام على والديها الموجودين ثمَّ ننصرف، أتذكر مقابلتهم جيدًا أول مرة حين رأيت نظرات الاحترام والحب المتبادل بينهم تمنيت لو أحضي بتلك العائلة ولم أولد يتيمًا، تمر الأيام حين عادت فاطمة إلى الجامعة بعد رحلة علاج قصيرة تملكتني السعادة الغامرة التي لم أشعر بها من قبل ذهبت لها وسط زملائنا الذين كانوا يعاملونني كالمنبوذ بسبب يتمي وانفضوا من حولها حين بدأت في الحديث معها، بعدها علمت بأنهم قرروا قطع علاقتهم معها حين بدأت علاقتنا في التطور حين أخبرتها عن مشاعري ناحيتها وجدت منها أيضًا ذلك الشعور حتَّى أصبحنا سويًّا لا يفرقنا شيء وتمر سنوات الجامعة حتَّى أخبرتها عن رغبتي بالزواج منها، أخبرت والديها اللذان كانا يعاملوني كابن لهم برغبتي وبعد أيام أخبرتني عن موافقتهم، تمت الخطبة على خير لكني أتذكر جيدًا أن محمد لم يكنْ سعيدًا بتلك

الخطبة حتَّى حاول أكثر من مره بعد تعييني في تدريب الجريدة أن يغير رأيي عن الزواج منها لكنه لم يفلح وبدأ بافتعال المشاكل معي ومعها لكنه لم يفلح، أصبح وجوده مؤرق لها فبدأت في تحذيري منه لكن كيف لي أن أستغني عن صديقي و أخي الذي لازمني منذ الصغر فحاولت الإصلاح بينهم حتَّى لا أفقد أحد منهم إلى أن أل بنا الحال إلى هنا.

أفقت من شرودي على صوتها حين طلبت مني أن نقف لنتحدث فيما جرى، لكني سمعت صوت خطوات ركض سريعة فجذبت يدها لنركض بعيدًا عن ذلك المكان لكن الوقت لم يسعفنا حين ظهر بعض من جنود الحشد حولنا، توقف عقلي عن التفكير لمْ أدرِ ما أفعله، لحظات حتَّى ظهر ذلك الشخص، شاب طويل البنيان جسده كأجساد المحاربين جميل الوجه لكن نظراته حادة كالصقر أمسك سيفه وبدأ في القتال مع هؤلاء الجنود حتَّى دحرهم عن بكرة أبيهم بضربة سيف واحدة أطاحت برؤوسهم، طلب منا أن نركض معه سريعًا إلى طريق صخري حتَّى لا يلحق بنا جنود آخرين، ركضنا مسرعين حتَّى وصلنا إلى وادي صخري جلست فاطمة على أحد الصخور تبكي بحرقة حتَّى نظر لها قائلًا:

- أعلم أن عقولكم لا تستوعب ما فيه الآن لكننا بصدد مواجهة كبري خاصة بعد ظهورك أيها المختار إلى جانب خروج أحد أسياد الجحيم ليقود جيش الحشد ضد عالم الظلام للاستيلاء عليه واستخدام الخادم كمفتاح للعبور.

قلبي كان يحدثني بأن هناك أمر خاطئ لذلك جذبته من يده قائلًا:

- من أنت يا هذا؟ أخبرني لماذا ساعدتنا؟

نظرت لي فاطمة بغضب واضح المعالم واللهجة قائلة:

- تركت الموضوع الرئيسي خروج أحد سادة الجحيم وتسأله من أنت!! أتعجب من أسلوبك الغريب.....

نظر لنا ذلك الشاب قاطعًا حديثها قائلًا:

- اِسمي هو أبرام من سكان عالم الظلام مكلف بمراقبة الفتحة أو البوابة الخاصة بأبناء سجيل أو سادة الجحيم كما نطلق عليهم، حين علمت بدخول ثلاثة غرباء إلى عالمنا جبت عالمنا من مشرقه إلى مغربه بحثًا عنكما خاصة بعد رؤيتي لأحد أفرادكم يركض نحو تلك البوابة لكن الغريب أنه لم يدخلها، حين رأيت جنود الحشد يخرجون من كل صوب وجانب من أرض الظلام علمت أن المختار قد أتى وعلى الجميع الاستعداد.

- منذ أن أتيت إلى هنا لم أجد إلا قصص وحكايات لا أعلم الحقيقي منها من المزيف، ميثاق عهد زائف لا فائدة منه ونبوءة لا أعلم إلى أين تقودنا إلى جانب خسارتي صديق عمري محمد ومحاولتي لإخراج فاطمة من ذلك العالم.

- يا مختار النبوءة يا عظيم الشأن أعلم أن وجودك هنا قدر لك كما قدر لهم، ميثاق العهد لم يكن زائفًا أو خداعا بل هو مفتاح دخولك إلى ذلك العالم ليسوقك إلينا هنا كي تكون أنت المخلص صاحب خاتم العارف الذي أرتديته الآن فقد حاول الكثير من قبلك الدخول للحصول على ما وجدته للفوز به، أغلبهم أما ماتوا أو حبسوا هنا في قاع الظلام لذلك أمشي كما قدر لك وسوف تنجو إلى ميعاد المعركة الكبرى التي فيها خلاص العالم كله من أسياد الجحيم ورجوع كل شيء إلى مكانه الطبيعي، أما لو خالفت الظنون فسيخرج علينا شرًا لا نستطيع دحره وبهذا سوف تكون نهاية العالم الحقيقية.

- إذن ما فائدة وجودي هنا أريد فقط العودة إلى المنزل فقط، قالتها فاطمة في يأس شديد بعد أن أسندت ظهرها إلى تلك الصخرة.

- أيتها الميزان يا كفتي الخير والشر قدرك أنت أيضًا أن تبقي هنا لا مفر من الهروب ولن تستطيعي الخروج من هنا إلَّا بعد إتمام مهمة المختار الأولى التي

سوف تحدد مصيركم، بالمناسبة أيها المختار المكتوب مكتوب في صحائفكم فلا تحاول أن تغير الأقدار حتَّى لا يختل توازن الحياة وتصبح أنت مفتاح الهلاك، فالقادم ليس بالهين والأتي في عالمك رغم معرفته مجهول.

- لقد سمعت ذلك الكلام مرارًا وتكرارًا من ذاك العجوز إلى خليل ثم أنت، أخبرني إذن لماذا قمنا لما كل تلك النبوءة لماذا كان يتوجب علينا أن نجد تلك الأرواح ونستمع لها؟

- لكل شيء شروط و كان هذا طلبك أن تعرف كل شيء عن تلك الأرواح ما بعد الموت لذلك وقعت على تلك الوثيقة لهذا لا تسأل كثيرًا وتجهد عقلك، حارب خوفك وانحر عنق الشك باليقين.

أثناء حديثنا سمعنا أصوات أبواق جنود الحشد تأتي من كل صوب نظر أبرام لنا مطالبًا إيَّانا بالركض ناحية ذلك الممر الخشبي، سألته فاطمة عن مجيئه معنا لكنه لم يجبها فركضنا إلى داخل الممر، ظهر بعض من جنود الحشد أمام أبرام الذي سرعان ما أستل ذلك السيف وبدأ في قتالهم ركضت فاطمة لم تنتظرني فركضت خلفها إلى الأمام حتَّى رأيت أحد جنود الحشد خلفي يركض بسرعة غريبة حتَّى وصل إليّ ألتفت له لمْ أدرِ ما أفعله لكني وجدت نفسي في موقف حياة أو موت لذلك قمت بقتاله حتَّى لكمته لكمة أطاحت به.

أين فاطمة التفت حولي حتَّى وجدتها تقف أخر الممر فركضت باتجاهها ما إن وصلت حتَّى وجدت تلك الضربة التي أطاحت بي أرضًا من ذلك السوط الحديدي القادم من منتصف الممر، التفت خلفي فوجدته محمد وبيده رأس أبرام يرفعه عاليًا.

***

"إن التحدي الأعظم للإنسان هو مواجهة أسوأ مخاوفه وكوابيسه، الوقوف إلى جانب الحق مع ردع الظلم، أن يتعلم كيف يحيا ويموت متقبلًا قدره بكل شجاعة، يختار إلى أي جانب هو مع الحزم في اختياراته، إن تكون كفته متساوية مع أعماله خير كان أو شر، لذلك وجب عليه حسم الأمور التي تقع على عاتقه وتصب في مصلحته".

الفصل الثاني عشر

(1)

كانت تلك الضربة قوية لم أتحملها في البداية حتَّى ركضت فاطمة نحوي ممسكة بيدي لمساعدتي على النهوض، نهضت متألمًا فالتفت حتَّى أرى محمد فرأيت أن بعض جنود الحشد هم الواقفين على أول الممر من الجهة الأخرى ساكنين لا يتحركوا كتماثيل صبت قواعدها في ذلك المكان لكن أين هو؟، حاولت الركض بعيدًا لكني لمْ أقوَ حتَّى أمسكتني فاطمة من ذراعي محاوله مساعدتي للسير حتَّى وصلنا ذلك النهر فتوقفنا للراحة حتَّى ركضت فاطمة لتروي ظمأها من مائهِ اِبتسمت لها على الرغم من الألم الذي تملكني أثر الضربة التي تلقيتها بخطوات بطيئة اتجهت إلى حافة النهر حاولت أن تسقيني لكني لم أشعر بالظمأ كل ما كان يشغل تفكيري هو كيفية إقناع نفسي بأن ما فيه الآن ما هو إلَّا حلم آخر، كيف أخرج بفاطمة من ذلك العالم؟

أشعر بدوار فظيع في رأسي حتَّى سقطت أرضًا مغشيًّا عليّ.

شعرت بروحي تخرج من جسدي.... رأيت جسدي ملقي على الأرض ورأسي على قدمها، حاولت النداء عليها لكنها لم تسمعني حين بدأت في الحديث معي بينما أنا نائم كأنها تريد الاعتراف بشيء وذلك قد ظهر على معالم وجهها فأنا أعلمها جيدًا في كل أحوالها لذلك لم أنتبه لها ما جذب انتباهي هو تلك الكلمات

المكتوبة على سطح الماء لم أتبينها جيدًا، اقتربت أكثر حتَّى رأيتهم كوضوح الشمس "وادي الذكريات، محاكمة الأرواح، الكابوس، المواجهة، باب النور".

شهقت عاليًا بعد أن أفقت فجأة فانتفضت فاطمة من مكانها ثمَّ نظرت إليّ قائلة:

- لقد كنت تشرب من النهر فجأة سقط على الأرض رأيتك تغط في نوم عميق فلم أرد إيقاظك لكن ما تعجبت منه قبل أن تفيق هو تلك الكلمات التي أخذت ترددها وادي الذكريات محاكمة الأرواح الكابوس إلى جانب المواجهة وباب النور، ما سر تلك الكلمات وما فحواها؟

نظرت لها محاولًا استيعاب ما يحدث نهضت من مكاني وما زال أثر ذلك الجرح موجودًا قائلا: لم أشعر سوى بروحي خرجت من جسدي نظرت لك ثمَّ إلى ماء النهر وظهرت تلك الكلمات، إنها رؤية تدلنا إلى الطريق الصحيح حتَّى نتبعه لكني لا أعلم من أين نبدأ؟

همت فاطمة بالحديث حتَّى ظهر صوت ذلك البوق مرة أخرى يعلن عن قدوم فوج من جنود الحشد إلى تلك المنطقة، نهضت مسرعًا ممسكًا بيديها التي أبعدتها عني بطفولية عجيبة وهي تقول:

- هيا بنا إلى ذلك الاتجاه لا تقلق عليّ فلست بطفلة صغيرة.

سارت أمامي مشيرة إليّ بالسير إلى ذلك الطريق الضبابي دوى صوت ذلك البوق مرة أخرى فركضنا سريعا حتَّى وصلنا إلى أول ذلك الطريق الضبابي وكأني قد فقدت نور عيني، طريق مظلم كالح مغطى بالضباب أرضه صلبة كالرخام ساخنة كرمل الصحراء في وقت الذروة، سرنا إلى جانب بعضنا بدون أدنى كلمة في مخيلتي تلك الفعلة الغير مفهومه حين رفضت أن أمسك يدها أعلم أن حبي لها جنوني زاد

خاصة في ذلك الموقف الذي نحن فيه لكن ردة فعلها غريبة، قطعنا مسافة لا بأس بها حتَّى وصلنا إلى منتصف الطريق يحيطنا ثلاثة تلال صخرية الملمس، أنقطع صوت ذلك البوق حين دخلنا ذلك الوادي وما زال ذلك الضباب يحيط بنا من كل جانب حتَّى فزعت فاطمة من تلك الأصوات القادمة من أعلى التلال.

***

(2)

- الجميع كانوا ينتظرون قدومك عندما أتت البشارة بقرب وصولك اِستعد عالم الظلام بأسره لك، بداية من توقيعك ميثاق العهد الذي أقنعك به المبروك اِبن الشيخ العارف إلى وجود الميزان والمفتاح لجانبك، علم الجميع أنَّه أنت المختار لكن لمْ يقوَ أحد على الكلام حتَّى قدمت ومن معك وأصبح الحال يتغير كما ذكر لنا، ما لا تعلمه أن ما نقوله لك ليس موجود بكتاب النبوءة الذي حررته أنت وميزانك بل هو كلام متداول بيننا فهنا لا مجال للكذب فالجمال والقبح هنا متساويان إلَّا من خدم البوابة وأصبح عبدًا للسادة من الأبناء كصديقك مفتاح البوابة منذ مولده نعلم جيدًا أنَّه هو مفتاح الشر بل نعلم عنكم كل شيء لكن ما نجهله هو مستقبلكم، أنتم هنا في وادي الذكريات حيث لا مجال للشك أو الكذب أو الخداع لن تعفيك نبوءتك من السؤال لذلك كن مستعدًا فمشوارك ليس بالهين بل هو مشوار عمر سوف يغير من حياتك الكثير إلى ميعاد موتك.

نظرت حولي لأرى من يتحدث لكني لم أجد سوى ضباب في ضباب أعلم أن الأصوات قادمة من أعلى لكن كيف لهم أن يتحدثوا في صوت واحد يثير الرهبة فالنفوس، فقدت تركيزي وتشتت عقلي وقتها لم أفكر بها تلك هي المرة الأولى التي تغيب فيها عن تفكيري لم يكن بمقدوري سوى التركيز فيما سوف يقابلنا هنا في ذلك الوادي مع هؤلاء المجهولين، بدأت تنادي عليّ بصوتها فلم أجب لم أكن أقوَ على الكلام أو الالتفات لها صوتها كان يظهر عليه الخوف والحيرة شعرت بأني

مغيب العقل سارح في ملكوت الدنيا ينتظر مصيره، اِهتزت الأرض من حولي هزة قوية ثمَّ دارت تلك التلال دورة سريعة كاملة جعلتني أترنح على أثرها دقائق معدودة حتَّى رأيتها تسقط أرضًا لكن بمسافة ليست بالقريبة، لم أستطع الركض هناك حاجز بيني وبينها تنظر لي، اِرتج ذلك المكان مرة أخرى وبدأ ذلك الصوت بالكلام.

- أيها المختار وادي الذكريات هو أسوأ بكثير من بوابة الجحيم،هنا تواجه مخاوفك و مزاعم ذكرياتك الماضية بل الأسوأ فيها، لتعلم أننا لا نختار لك تلك الذكريات بل أنت من تختارها فإن قدرت على المواجهة كنت في مأمن ومن معك أمَّا إن كذبت فمرحبًا بك في غياهب الجحيم الأبدي.

- ماذا عنها هل ستكون بمأمن؟

قلتها ناظرًا إليها كي أطمئنها، لكن أتى ذلك الصوت مرة أخرى قائلًا:

- كل من دخل الوادي أصبح عرضة للمواجهة فاستعدوا.

نظرت حولها قائلة:

- أنا راضية بما قدر لي وقسم أنا مستعدة لكن بقي هناك سؤال واحد، لماذا تقومون بمحاكمتنا على ذكريات خاصة بنا؟

- من قال لك أننا نحاكمكم لكن هذا الوادي ما هو لكشف حقيقة النفس التي نعلمها نحن مسبقًا كما أخبرناك في البداية نحن جزء من عالم الظلام فالخير مساوي للشر لذلك يخرج من يدخل هنا بختم الصدق أو الكذب، لكن في وجود المختار أمَّا الطريق الصحيح أو طريق الهلاك.

نظرت لهم بعد استماعي لحديثهم في غضب واضح:

- منذ جئت إلى هنا أشعر أن حياتي قد حوصرت في ذلك العالم لذلك أرجو أن تبدأ.

- لكم ما اخترتم وعلينا التنفيذ لكن أحذر أن تكون عدو نفسك، أيها المختار فلنبدأ.

***

(3)

أتذكر ذلك اليوم جيدًا حين دخلت غرفتي أبكي بسبب ذلك الموقف السخيف الذي فعله أحمد معي حين كذبني في أحد المحادثات وصدق محمد، دخلت أمي غرفتي من خلفي تسألني عن سر بكائي حتَّى حكيت لها ما دار بيني وبينه بسبب مشكلتي مع صديقه الذي أرى في وجوده الدائم المشاكل والقلق، ربت على كتفي بحنانها البالغ ثمَّ قصت لي في بداية تعارفها مع أبي على تلك الأفعال التي كانت تحدث بينهم ابتسمت لها حتَّى رن رقم الهاتف باسمه أجبته لكني لم أكن على طبيعتي لذلك اقتصرت معه الحديث.

تمر الأيام حتَّى قابلت ذلك الوغد في أحد الأماكن التي كنت أزورها لم أعلم بحقارته ودناءته إلَّا حين حاول مغازلتي بعيدًا عن الأعين لذلك قطعت صلتي به فورًا بعد إخبار أحمد برغبتي في ذلك إلى جانب أني كنت خائفة من المشاكل التي تعصف بحياتنا بسببه، تمر الأيام حتَّى حدثت تلك الذكري السيئة من وجهة نظري تلك هي المرة الثانية التي أخفي فيها سرًا عنه حين حدثني منذ أيام يخبرني فيها عن ما يدور مع أحمد على الرغم من عدم تقبلي لكلامه لكني شعرت بالقلق الشديد فأنا أكثر من بالوجود يعلم بطبيعة حاله، اتفقت معه أن يخبرني بكل ما يمر به أحمد حتَّى أخبرني أنهم بصدد خوض مغامرة جديدة من أجل ذلك التحقيق الصحفي الخاص بالجريدة لهذا طلب مني مسايرته على أي طلب يقوله لذلك خضت معهم تلك المغامرة حتَّى علمت الآن أني بصدد كارثة حقيقية، أنا الميزان كما أطلقوا عليَّ أعلم بأني مخطئة بحق نفسي لكني أخرجت ما في جوفي حتَّى لا

أعيش بذنب لست السبب فيه كل ما كنت أريده هو سلامة أحمد والحفاظ على صداقته مع ذلك الوغد على الرغم من أفعاله.

نظرت فاطمة لي نظرة المنكسرين لكني لمْ أقوَ على الكلام نظرت لها فقط محاولًا طمأنتها على الرغم من النار التي اشتعلت بصدري بعد ما قيل، اهتزت الأرض من تحتنا ثلاث هزات متتالية حتَّى سمعنا ذلك الصوت المجمع يقول:

- أيها المختار دورك هو الفيصل فبكلامك سوف يحدد مصيرك ومن معك.

***

(4)

لا يهم إن كنت المختار أصبحت الحياة لا معنى لها حين خضت في غيبيات لا أعلم مداها، لذلك كانت معظم ذكرياتي سيئة قليلة الفرح فيها كان التثبت بالحياة من أجلها هي فقط، خضنا الكثير سويًّا لكني لم أكن راضي أبدًا عن حالي، لمْ أكن ذلك الطفل المثالي كما كانوا يدعونني بل كنت أشدهم خبثًا لكني كنت طفل صغير أبحث عن ملذات الحياة من مأكل ومشرب، كل ما أفعله هو سرقة بعض من الحلوى أو الطعام المتبقي ليسد جوعي أنا ومحمد أخي، حين نضجنا وعلمت أن لي عائلة كنت أسخر من نفسي أمامه كتلك الأفلام القديمة، لكني لم أجد إلَّا المال فقط صرفته ببذخ شديد تعويض عن ما فات من عمري خلف أسوار ذلك الملجئ، تعودنا أن نفعل كل شيء وأي شيء سويًّا لا نبالي بمن حولنا حتَّى قابلتها وغيرت مجرى حياتي كانت أغلب خلافاتنا عن علاقتي بمحمد لذلك كنت أخفي عليها الكثير من الأمور خاصة عندما اِعتدى على محمد بالضرب المبرح إلى جانب تلك الوليمة التي أعدتها لنا والدتها وقام محمد بسرقة بعض الأموال من مكتب والدها الذي لم يشك بنا أبدًا، قلت لكم أن لي الكثير من الذكريات السيئة فأنا إنسان أخطأ وأصيب لقد كان كالشيطان بجانبي.

أتذكر تلك المغامرة الأخيرة التي قمنا بها في أحد قرى الريف مع تلك العرافة الشهيرة التي ذاع صيتها وتنبأت بموت فاطمة حين قتلها محمد بعد خروجنا مباشرة وقيدت القضية ضد مجهول، هنا ذاع صيتنا كنت أظن أن ما فيه سوف يتلاشي حين ننضج عمريًّا ونفسيًّا لكني وجدته يسوء في كل مرة فيها، أعلم أنها ذكريات

ستكون أغلبها سيء لكني أعترف بالتقصير وخيبة أملها في حين كنت أنصفه عليها رغم علمي بأخطائه الفادحة.

اهتزت الأرض عدة هزات قوية حتَّى كادت الأرض أن تنشق من تحت أقدامنا وبعدها اِنقشع الضباب من حولنا و ظهرت على يديّ علامة غريبة الشكل وكأنه فارس يمتطي جواد أسود اللون، ظهر ذلك الصوت قادمًا تلك المرة من اتجاه واحد قائلًا:

- الآن تمضي في طريقك إلى قدرك فكلا مصيركما قد تحدد وقد اِنقشع ضبابكم عن أرواحكم فتطهرتم وما كنتم هنا إلَّا بملء إرادتكم وتلك هي أولى علامات التطهير، أمضي أيها المختار إلى طريقك فلقائنا ليست نهايته هنا بل تلك هي البداية.

اِختفى وادي الذكريات من حولنا فسرنا في طريقنا لكن تلك المرة كنا نمشي متشابكين الأيدي، شعور الرهبة والخوف قد زال بعض الشيء لكن لا أخفي سرًا ما زلت قلقًا عليها، مرة أخرى عاد صوت ذلك البوق يصدح بقوة فركضنا بعيدًا حتَّى وجدنا تلك الصخرة ركضنا سريعًا إلى هناك حين وصلنا لها .....

***

"أصبحت الحقيقة واضحة كوضوح الشمس، اِعتراف الإنسان على نفسه هو من أسمى معاني التطهير حتَّى يمر بمراحل واختبارات لرؤية قدرته على المواصلة وثباته على موقفه، تلك المراحل ما هي نظرة شاملة للحياة فيما بعد من حب فقد نجاح فشل إلى جانب الموت والحياة كما أخبرونا منذ القدم حاسبوا قبل أن تحاسبوا، قوانين متضادات الحياة وكيف سيعيش الإنسان بها؟ أخبرني أيها أنت؟".

الفصل الثالث عشر

(1)

استيقظت من غفوتي، رأسي يملؤها الألم نتيجة تلك الضربة التي تلقيتها من الخلف تحسست عليها فوجدت دماء غزيرة تنزف منها، لم أستوعب ما حدث لي كل ما أتذكره حين سمعنا الصوت اِختبئنا خلف تلك الصخرة سمعنا صوت ذلك البوق الخاص بجنود الحشد ثمَّ سقط ولم أشعر بنفسي إلَّا الآن.

نهضت كالمجنون أبحث عنها في جميع الأرجاء أنادي عليها لكن لا مجيب فخاب أملي في العثور عليها، تذكرت وقتها كلام خليل النسر النبوءة تتحقق كل ما أشاهده أمامي ليست أحلام بل هو واقع فرض عليّ يجب خوضه حتَّى أجدها ونخرج من ذلك العالم إلى الأبد لكن كيف بعد أن تحدد مصيري؟

سرت في الأرض هائم على وجهي لا أعلم إلى أين تقودني أقدامي حتَّى وصلت إلى طريق جبلي ضخم يتوسطه ممر ضيق للغاية مظلم، توجهت إلى الممر أسير ببطء لا يشغل بالي سوى العثور عليها، شعرت بخطوات خلفي تسير على خطاي كلما سرت التفت حولي عدة مرات فلم أجد أحد، على بعد خطوات بسيطة كان هناك خيال يظهر ثمَّ يختفي بسرعة شديدة تلك المرة لم أكن خائفًا ركضت إلى ذلك الخيال فاختفى وعاود الظهور اِستمر الحال حتَّى ما أن وصلت قبل نهاية الطريق ببضعة أمتار، حتَّى رأيت ذلك الخيال يظهر بوضوح على الجانب الأيسر للطريق لم أكذب خبرًا فسرت له بخطوات ثابتة حتَّى اقتربت منه فوجدت سيدة عجوز

كبيرة في السن ملابسها سوداء وجهها دميم عفي عليه الزمن تنظر لي بابتسامة غير مريحة بعدها أدارت وجهها عني ثمَّ دلفت إلى داخل ذلك الكهف الذي ظهر من عدم، دلفت إلى داخل ذلك الكهف سريعًا أبحث عنها على الرغم من أنها لم تغب عن ناظري حتَّى وجدتها تقف أٍخر الكهف ثمَّ أشعلت النار في شكل دائرة كبيرة أحاطت بي قائلة:

- مرحبا بك أيها المختار، يا مزعج عالم الظلام ومؤرق منام الأرواح مجيئك كان نذير شؤم لعالمنا ومن جاء بك إلى هنا حكم علينا بالهلاك.

- نعم لقد أصبحت المختار رغمًا عني قدري من وضعني في ذلك طريق لا أعرف نهايته، الآن كل ما أبحث عنه هي فاطمة لنخرج من ذلك العالم".

- أتهرب من قدرك ومصيرك المكتوب؟ إن كنت تقصد الميزان فقد أصبحت أسيرة العالمين، أنت من سوف تحدد مصيرك ومصير من حولك فلا تراجع فيه لكن قبل أي شيء يجب علينا محاكمتك على ما بدر منك لعلِي أعيد السلام لذلك العالم وأحميه من شر أسياد الظلام الذي كنت واحدًا من أسباب ظهورهم.

- لا أعلم عن ما تتحدثين كل ما أعرفه هو أني أريد إنقاذ فاطمة واللحاق بمحمد قبل أن يكون المفتاح لتلك البوابة.

ابتسمت تلك العجوز قائلة:

- أحمق تظن نفسك منقذًا لهم، أنَّه القدر والمكتوب، منذ دخولكم كان صديقك هو المفتاح ما أخبرتك به سابقًا هو ليس أكثر من حمايتنا من خطر الأسياد فبفشلك سوف تغلق البوابة من جديد لحين خروج السيد المعظم للحياة وخروج باقي أتباعه إلى أن تكون النهاية الكبرى لكل من في العالمين.

اشتدت النار من حولي حين ظهرت عدة خيالات خلف تلك العجوز واقفين بثبات إلى أن اِختفت فبدأت تلك الخيالات في الظهور حولي، نعم أعرفهم جيدًا

تلك هي الأرواح التي قابلناها طبقًا لميثاق العهد، نائل رجل الأعمال وهند الغانية صاحبة الملهى الليلي وزينب تلك الساحرة التي تأذي منها أهل قريتها إلى جانب ذلك الشاب أمجد المشتت وخليل النسر التربي، لكن ما هذا لقد حرق وقتل منهم إلى جانب خليل النسر هل كان يخدعني لقد قال أنه معنا؟

لقد جن عقلي بالتأكيد لكن لا على الخلاص منهم وإنقاذ فاطمة للخروج من ذلك العالم لن أيأس، أرتج المكان بضحكتها قائلة:

- ضالان أتركك معهم لتحاكم على تدنيسك أرض الظلام أيها المختار، لم يكن عليك المجيء إلى هنا.

- شئت أم أبيت أنا هنا أصبحت حامل لنبوءة لا أعلم سوى أني قادم على حرب ليس لي يد فيها، سئمت تلك الألاعيب لم يعد بمقدوري التحمل أكثر من ذلك، أريد الخروج من ذلك العالم مع فاطمة أمَّا محمد فليذهب للجحيم.

قلتها بغضب واضح حتَّى رجت تلك الضحكة مرة أخرى الكهف بأسره وزاد لهيب النار في تزايد حيث بدئوا في الاقتراب مني لم أتحرك خطوة واحدة لكني وقفت ثابت حتَّى توقفوا أمامي ببضع خطوات مرددين في صوت واحد، صوت معذبون يملئهم الخوف والحيرة.

- هل نحن مذنبون؟

كرروها لكثير من المرات، وقتها تذكرت كلمة ذلك الشيخ أن ليس كل ما نراه حقيقي فاستجمعت قوايَ ووقفت أمامهم حيث بدأ حديثي معم بشكل هجومي فلقد سئمت من ألاعيب ذلك العالم.

- تريدون محاكمتي ومازلتم ترددون نفس السؤال الذي تعرفون أجابته مسبقًا نعم كلنا مذنبون مخطئون في حق أنفسنا، ولادتنا في ذلك العالم كانت على فطرة النقية لا تشوبها شائبة حتَّى نمر في حياتنا بالكثير من الاختبارات في مراحلنا

العمرية فتبدأ الذنوب في التكاثر على كاهلنا نتيجة لضعف النفس البشرية فمن تداركها كان من الفائزين تطهر من ذنوبها، أمَّا نحن فلمْ نستطعْ تدارك ذنوبنا فعشنا وتوفينا بها تحمل أرواحنا آثامها حتَّى إن وجدت فرصة تلك الفرصة في عالم الظلام، ربطتم مصيركم بشخص مجهول وآراء من يتبعه ذلك ما فعلتموه عذركم الوحيد أنكم مقيدين في ذلك الظلام، تريدون محاكمتي لا بأس لكن دعوني أقول لكم حقيقتكم لستم سوى زمرة من الضائعين الذين ضلوا حياتهم في الدنيا ثمَّ يعلقون أخطائهم على غيرهم هنا في عالم الظلام لعلهم يتطهرون ويجدوا الراحة.

نائل رجل أعمال شاب عامله والده بقسوة لعله منذ الصغر حاول تغيير حياته إلى الأفضل بعد موت والده الباشا الكبير، حول حياته بنفسه إلى جحيم حين فقد بيته وابنه وارتمي في أحضان غانية خسر كل شيء وخسر حياته حين أنهاها بيده.

هند تلك الغانية التي باعت روحها للشيطان حين ارتضت بأن تبيع جسدها لمن يدفع أكثر لنيل متعة لحظية معها، دمرت حياة ومستقبل الكثير أصبحت عبدًا للمال وشهوتها سر نجاحها، أصبحت صفاتها هي الغدر الخيانة إلى ما لا نهاية في النهاية كانت نهايتها مقتولة بسبب تلك الشهوة التي جعلتها غريزة في كل من يراها.

زينب ورثت الغل والحقد من أمها تلك الساحرة التي استعانت بأعمال لا يقبلها شخص عنده ذرة من عقل أو إيمان، اتخذت السحر وسيلة للانتقام إلى جانب وسيلة للكسب والعيش على آلام الناس، تدنيس كل ما هو محرم في سبيل أي شيء كما قالوا النهاية انقلب السحر على الساحر فأصبحت هي ضحية ذلك السحر.

أمجد اِبن الأثرياء الطفل المدلل لعائلته والمشتت بينهم، تاه بين تحكمات

الأب وتسيب الأم، بين عقله الباطن والحقيقة المطلقة، شب على التمرد السريع لا يستمع إلَّا لصوت عقله فقط فقد وقتها الثقة في عائلته حين علم بأخطائهم وذنوبهم، سادة المجتمع في الظاهر لكن في السر مسيئون، كان من الطبيعي أن تكون نهايته غير متوقعه.

خليل النسر أو عم خليل التربي أعلم أنه ليس أنت الشخص الذي قابلته وحملني النبوءة لذلك دعني أقول لك أنك حلقة الوصل ما بين عالم الأحياء والأموات، يكفي أنك عرفتني قدري فأصبحت بسببك المختار.

محاكمتكم لي ليس لها معنى فلقد علمت جيدًا مقدار نفسي مذنب كأي بشري خلق على ظهر تلك الحياة لكن الفرق بيني وبينكم هو أني الآن أتحمل مسئولية أفعالي وأتطهر منها.

خمدت نيران تلك الحلقة فاختفت الأرواح نظرت حولي فلم أجد شيء سوى تلك العجوز التي خرجت من ذلك الكهف، ركضت سريعًا خارج الكهف حيث أتى ذلك الصوت مجددًا قائلًا:

- أتظن بذلك أنك هربت من مصيرك واستطعت أن تنهي محاكمة الأرواح لك، واجه أسوأ مخاوفك وكوابيسك.

وقتها تذكرت كلام الشيخ أن ليس كل ما نراه حقيقي إلى جانب أن أسوأ مخاوفي هو فقدان فاطمة أمَّا كابوسي هو ذلك الحلم لذلك التفت لها قائلًا:

- أني في اختبار دائم منذ مجيئي لذلك أنا مستعد لمواجهة خوفي وكابوسي لذلك تلك الأرواح ما هي إلَّا خمس حلقات متصلة ببعض عن طريق الشاهد عليهم.

اهتزت الأرض بشدة من تحتي حتَّى كدت أن أسقط أثر الهزة تبعها ضحكة

تلك العجوز حين أخبرتني أن المواجهة قد بدأت، ظهر ذلك الكيان من عدم شخص ضخم للغاية ليس له أي معالم مغلف بسواد شديد هيئته تبث الرهبة في النفوس ظلام كامل يحل حين يكون موجودًا، التفت حولي حين بدأ في التحرك نحوي بخطوات بطيئة ركضت بأقصى سرعة إلى ذلك الممر من جديد ثمَّ إلى خارج ذلك الجبل حتَّى بدأ في ملاحقتي إلى الخارج.

***

(2)

تلك المرة أركض لكن ليس خوفًا بل هو إصرار على بلوغ النهاية لأجد فاطمة، ما زال يركض خلفي حتَّى وصلت إلى ذلك المكان من جديد، طريق المقابر لقد حفظت كل شبرًا فيه الإضاءة خافتة إلى جانب أصوات الصراخ القادمة من المقابر نفسها في منتصف الطريق نظرت خلفي كان قد اِختفى عن الأنظار سرت في الطريق حتَّى عاود الظهور مرة أخرى فركضت مسرعًا وهو من خلفي يصدر أصوات عالية غير مفهومة، وجدت على الجانب الأيسر مفتاحًا معلقًا على حائط إحدى المقابر التقطته بسرعة كبيرة ثمَّ اِلتفت لأجد ذلك الشخص يلكمني لكمة قوية أطاحت بي أرضًا، ظلامًا كاملًا يحل على الطريق كلما مر منه حين سمعت ذلك الصوت يطلب مني أن أنهض لأكمل السير ولا أسمح للظلام أن يبتلعني، نهضت سريعًا حتَّى وجدته واقف أمامي ومن خلفه ظلام دامس خيم على المكان وأصوات الصراخ القادمة تثير أعصابي فركضت مسرعًا حتَّى بدأ الطريق يقل تدريجيًّا فوجدت على مرمي بصري ذلك المنزل، نعم أنه هو ذلك المنزل المنشود ذو الجدران البالية والبوابة الخشبية العتيقة والحديقة الواسعة، ركضت سريعًا حتَّى وصلت إلى الباب حاولت فتحه لكن باءت محاولاتي بالفشل فتذكرت ذلك المفتاح، أخرجته بسرعة وعلى بضع خطوات مني كان يتقدم ذلك الشخص صاحب الظلام الدامس ليقترب مني، فتح الباب وتوقف ذلك الشخص عن ملاحقتي، رأيت ما هالني أنه كالكابوس الذي أراه يتحقق أمامي الآن.... فاطمة.

***

"قالوا الموت للشجعان أصحاب الرسالة والحق فإن ماتوا فنيت أجسادهم لكن أرواحهم ما زالت موجودة أسمائهم مذكورة إلى أبد الآبدين، أمَّا الجبناء يعيشون في الظل ويموتون في الخفاء لا صوت لهم يعلو ولا هم مذكورون، اختر أيهما تريد فكلاهما نهايته الموت مع اختلاف مسمياته".

الفصل الرابع عشر

(1)

بعد أن فتحت الباب رأيتها واقفة وسط دائرة من الدم الأسود مقيدة في تلك السلاسل الحديدية، تسيل الدماء من كل جانب في جسدها فمن الواضح أنها تعرضت للتعذيب المشهد آدمي قلبي لكني لا أشعر به كما كنت أراها كان هناك شيء أكبر من ذلك يشغل عقلي وتفكيري، اقتربت منها وجهها يكسوه دم يظهر آثار حياكة على الفم بخيط غليظ أناديها فتنظر لي ولا تجيب كأنها تحت تأثير مخدر بينما أصوات باب المنزل تفتح من خلفها، هناك شخص قادم لم أتبين ملامحه حتَّى ظهر.... محمد.

- مرحبًا بك في عالمي أيها المختار، أنت في حضرة خادم الأسياد هنا سوف تلقي حتفك وهنا سوف أصنع مجدي.

خرج من الباب واقفًا على درجات السلم يبتسم لي من خلفها ابتسامة خبيثة أعلمها جيدًا.

- كنت أعلم أننا سوف نتقابل لكن تلك المرة ليست كسابقتها فأنت خصمي وخصم العالم أجمع، محمد أخي قد مات منذ أن مات ضميره ومبادئه و.....

قاطعني بعنفٍ قائلًا:

- منذ أن عرفتك وأنت ضعيف الشخصية حائر، تائه في عالمك الخاص لكن ما صدمت له كيف يكون المختار هو أنت؟

- أنَّه القدر يا صديقي حيث يصبح الجميع أبطال إلى أن يثبت العكس، أنا هنا لأنقذ فاطمة من براثنك أنت وأسيادك، إن حكم الأمر سوف أقتلك لكي أنقذ ما تبقى منك لعل الله يغفر لك ما أقدمت عليه من ذنوب.

- عن أي ذنوب تتحدث؟ كنت وما زلت أحمقًا لا تعي سوى صوت عقلك المغيب في عالم الاحترام والفضيلة، أخبرني متى آخر مرة أظهرت فيها حق ضاع لك لولاي وتلك المسكينة لكنت في خبر كان، اِعترف بفضلي عليك وتقبل الموت على يَدِيّ بصدر رحب كما تقبلته في السابق.

تحولت ساحة الحديقة إلى صحراء واسعة لا يتخللها سوى ذلك المنزل وتلك البوابة التي فتحت أبوابها على مصراعيها، لم أتعجب كثيرًا حين سمعت ذلك البوق يدوي من جديد، يخرج جنود الحشد من كل صوب ومكان يلتفون حولنا في دائرة، حاول أحدهم مهاجمتي لكني تفاديت هجمته فصرخ بهم محمد أن يتركوني بعد أن ألقى لي بسيف على الأرض في محاولة لحضي على مبارزته، أعلم أن ذلك من علامات النبوءة لكني لم أحب أن تئول الأمور إلى ذلك لكن ما باليد حيلة، اِلتقطت ذلك السيف حيث سارع محمد بالهجوم على و تسديد الضربات لي بطريقة قوية جعلتني أسقط على الأرض عدة مرات والجنود حوله يهتفون ويصرخون باسمه، حاولت مهاجمته بتسديد بعض الضربات لكن محاولاتي باءت بالفشل إلى أن دوي البوق مرة أخرى لكن بدوي أعلى، شعرت أن جنود الحشد من حولي يصطفون صفين حول تلك البوابة، لم أنتظر طويلًا حتَّى سددت تلك الضربة إلى محمد فأصابته في يده جعلت السيف يقع منها حتَّى رأيت سوطًا يأتي من عدم يضرب الأرض فيشقها، لم أنتبه حين باغتني محمد بضربة قويه من السيف جرح بها جانبي الأيمن هنا ظهر صوت مرعب قادم من أعماق الجحيم يقول:

- ألم أقل لك أن المختار لي أيها الأحمق، أتخالف قانون السيد المعظم؟

هنا ظهر ذلك الشخص من البوابة وما أشدها من صدمة أنه أبرام ذلك الشخص الذي قتل على يد محمد وجنود الحشد لكنه مختلف عن ما شاهدته أول مرة، يرتدي رداء أسود وفي يده سوط آخر طرفه رأس ثعبان إلى جانب سيف ضخم وكأنه قادم من فيلم رعب هوليودي، لم يكن لدي الوقت للاندهاش أو التعجب فما أن رفعت سيفي حتَّى اِختفى محمد من أمامي وأصبحت فاطمة بالداخل على نفس حالها في منتصف المنزل، رأيت وقتها أن جنود الحشد يدخلون إلى تلك البوابة في نظام شديد وكأن شيء لم يكن، محمد واقف مقيد بسلاسل من نار لا يتحرك.

- هنا بداية المعركة الأولى، يقولون أنك سوف تفوز بها لكني أخالفهم الرأي فالموت سيكون من نصيبك وحينها يخرج السيد الأكبر ليبدأ عهدنا لذلك كن على يقين أنك لن تخرج حيًا ولا هي.

تلفظ بها ثمَّ ابتسم مخرجًا سيفه الذي أخذ يلوح به في وجهي.

- أريد أن أطرح عليك سؤال واحدًا على الرغم من قلة معرفتي بك وموقفك الذي كنت أظنه نبيلًا وما هو إلَّا مجرد خدعة كيف لك أن تخدعني وتنفذ خطتك بتلك البراعة؟

- لم يكذب سيدي حين أخبرنا عنك يا صديقي العزيز منذ مولدك قدر لك أن تكون ذلك المختار لكنك أضعف من أن تكون هو، شخص عاش حياته في حيرة وقلق بالغ لم يكن صاحب القرار بل كان يدع ذلك الأحمق صديقه يقرر عنه حتَّى جاءت تلك الفتاة فأصبحت هي سيدة القرار ، لكن أخبرني متى أخذت قرار لنفسك لتصبح المختار وتكون ندًا لنا وللسيد الأكبر، أنت تافه يا صديقي حتَّى حين قابلتك كانت في مخيلتي أن أرى المختار الحقيقي الذي حاربنا من أجله الشيخ العارف وابنه لكني لم أجد إلَّا شاب ضعيف، خلاصة القول مت بهدوء يا صديقي.

في لحظة باغتني بضربات قوية من سيفه ضاحكًا ضحكات جنونية حتَّى قمت بصد بعضها والبعض الآخر كان يصيبني بجروح طفيفة لكنها كانت كالجمر كنت أشعر بأن هناك شيء ما يدفعني للقتال، لكني ما زلت أصد ضرباته حتَّى توقف للحظة فلم أنتظر حتَّى بدأت في تسديد الضربات له شعرت وقتها أن المكان تحول إلى دائرة نارية من اللهب الشديد كأنه يخرج من الجحيم، ضربات تلو ضربات حتَّى اشتدت المعركة على آخرها، بدأت قواي في الانهيار لكني تماسكت بعض الشيء حتَّى تلقيت ضربة سقطت عليّ أثرها أرضًا، وجدته يبتسم لي حتَّى بدأ في ضرب الأرض بسوطه لتخرج منها صرخات كصرخات المعذبين في الجحيم.

غبت عني الوعي لدقائق حتَّى رأيته يقف عند سطح ذلك المنزل شخص كبير السن بملابس بيضاء وجهه كأنه نور براق ينظر لي كأنه يريد أن يقول لي شيء، حاولت أن أنهض لكني لمْ أقوَ على ذلك حتَّى وجدته يمسك صخرة كبيرة تعجبت من ثقلها وحجمها رفعها ثمَّ ألقاها علينا حتَّى ارتجت الأرض من تحتي، قمت فزعًا لكني لم أشعر إلَّا بالسيف مغروز في قلب أبرام، علامات الفزع والذهول التي ارتسمت على وجهه جعلت الدماء تضخ في عروقي حتَّى سقط أرضًا وتأكل جسده بفعل نار نشبت في جسده وأصوات الصراخ تعلوا من باب الجحيم.

نظرت من حولي حتَّى وجدت تلك البوابة تتوهج بنيرانها ساحبة محمد إليها ركضت مسرعًا محاولًا إنقاذه، أمسكته حتَّى وجدت تلك البوابة تسحبه بقوة وأخرجت لهب شديد حرق به يديّ تركته مجبراً حتَّى أغلقت البوابة أبوابها لم أشعر بأي إحساس سوى الندم على ما أل إليه حال محمد، سرت إلى المنزل وجدتها ملقاة على ظهرها ركضت إليها وجدته واقف على سلم المنزل من الداخل يبتسم لي ثمَّ هبط مشيراً لي بالابتعاد فجثا على ركبتيه واضعًا يديه على رأس فاطمة وبدأ بتلاوة بعض الكلمات الغير مفهومة فقامت بطريقة مفزعة تصرخ حين نظرت له صمتت فابتسم وطلب مني اِتباعه.

- أصبح قدرك أيها المختار أن تحمل لواء الحق ببركة الأولياء والشيخ عارف الكبير، لقد اخترت طريقك لما هو قادم لذلك لا تفكر في الماضي، حين تخرج من هنا لن تتذكر شيء فأبدأ حياتك واستعد لما هو قادم.

اِختفى من أمامي فوجدت فاطمة تجلس على الأرض أمسكت يديها لمساعدتها في النهوض ما زالت آثار بعض الجروح موجودة عليها سرنا وهي تستند عليّ حتَّى فتح ذلك الباب، باب النور لكنه مقسم إلى اثنين نظرت لي فاطمة قائلة: هل انتهينا؟

ابتسمت لها مقبلًا رأسها قائلًا:

- نعم انتهينا لكن الآن يجب علينا أن نذهب من ذلك العالم الباب مفتوح أمامنا.

- أين محمد؟

تعجبت من سؤالها عنه فقلت لها:

- دعيه لقدره ونصيبه.

سرنا نحو باب انقسم إلى اثنين كل باب منهم لا يسمح سوى بعبور شخص واحد فقط يعبر من خلاله وقفنا أمام الباب فلم تنتظر فاطمة دلفت بداخله ثمَّ تبعتها عبر الباب الثاني.

***

" تمضي بعض المواقف كومضة في حياتنا نعيشها دهرًا وتمر كالثانية في العمر.

لذلك تجد في أغلب الروايات النهاية سعيدة أمَّا بفوز البطل وانتصار الخير على الشر، لكن تلك القصة ليست كباقي القصص، بل هي حكاية سوف تستمر إلى أن تقوم الساعة تلك هي بداية النهاية".

الفصل الأخير

(1)

السبت – الثانية عشرة صباحًا.

محافظة سامراء – العراق.

تدخل الأم على ابنها في غرفته بينما هو يغط في نوم عميق لتفتح الستائر وتسمح لأشعه الشمس بالتسلل لداخل جدرانها غير عابئة بنوم ذلك الشاب وحيد والديه، أخذت الأم في مداعبته لجعله يستيقظ إلى أن يقوم بابتسامة خفيفة معلنًا عن استقباله لنور الصباح، قام من فراشه متجهًا إلى حوض المياه ليغسل وجهه لم ينسَ أن يداعب أمه بقبلة على رأسها يليها بعض المزاح الخفيف، سمع صوت والده من خارج الغرفة فخرج على الفور يقبل يده، اِبتسم الوالد ثمَّ أمسك تلك الجريدة المصرية المفضلة لديه قائلًا:

- أتعلم يا أحمد أن تلك الجريدة تنشر بعض الأخبار الغريبة التي لا أصدق بعضها لكن من تكتبها محترفة بإمكانها شد انتباه رجل عجوز مثلي لتلك الموضوعات والتحقيقات الصحفية الغريبة.

- أتقصد تلك الصحفية المصرية، لا أعلم ما الغرابة في الموضوع لك أيها العجوز؟

- الغريب هو كيف تأتي لها الجرأة على خوض كل تلك المغامرات وحدها ألا تراه غريبًا؟

- لا أراه غريبًا يا والدي فجيلنا يعشق المغامرة والتحدي، الدليل على ذلك تلك اليد المحروقة جراء ذلك الحادث الغريب الذي وقع لي ولهذا دعني أقرأ عنك تلك الجريدة التي تثير أعصابك.

ضحك الأب بعد أن خطف أحمد تلك الجريدة وفتحها على صفحة التحقيقات الخاصة بالصحفية فاطمة الشاذلي، موضوع غريب يشد الانتباه عن حال أهل القبور بعد الموت أخذ يقرأ ذلك التحقيق باهتمام حتَّى نادته أمه للفطور والاستعداد للذهاب للمتجر مع والده، قرأ في آخر التحقيق عنوان البريد الإلكتروني الخاص بها فقرر أن يراسلها بعد قراءة ذلك التحقيق، أخذ الجريدة معه حينما خرج من المنزل مع والده متجهين إلى المتجر الخاص، بعد أن وصلا دخل إلى مكتبه بالطابق العلوي ممسكًا الجريدة ففتحها على ذلك التحقيق حتَّى بدأ في القراءة عن ذلك الموضوع عن حياة أهل القبور بعد الموت وكيف لتلك الصحفية أن تخوض في غمار ذلك العالم شعر كأنه عاش تفاصيل تلك المغامرة، تحقيق من صفحتين أنهمك فيهم حتَّى قرر بعدها أن يراسلها معبرا لها عن إعجابه بها وبمقالاتها، أسبوع كامل حتَّى وصله ردها شاكرة له على مجاملته الرقيقة لها شعر وقتها بأنه بألفة نحوها أيضًا فلم يتعجب من ذلك الإحساس على الرغم من أنهم في بلدين مختلفين.

في أحد الليالي أمسك أحمد هاتفه مراسلًا فاطمة بأنه يود مقابلتها بصفته مهتم بالأمور الخارقة للطبيعة، أخبرته وقتها أنها سوف ترتب لقاء بينهم طبقا لظروف عملها لكن ما تعجبت منه هو أنَّه من العراق وهي من مصر فكيف يكون اللقاء؟

تعدد المراسلات حتَّى أصبحت مكالمات هاتفية بين صديقين عزيزين يجمعهما الشغف والفضول المشترك لعالم غامض.

خلد إلى النوم كعادته لكنه رأى ذلك الكابوس مرة أخرى الذي أرقت منامه

منذ عام، ذلك الحريق الضخم الذي اِحترقت فيه يده إلى جانب مقتل صديق عمره حمد الذي كان بمثابة الأخ له، فجأة تحول ظهر ذلك الرجل الكبير صاحب الجلباب الواسع والعمة البيضاء وجهه أبيض كالنور يملأ الكون به رفع يده ثمَّ أشار إلى تلك اللوحة المكتوب عليها "ليلة سيدي العارف الكبير" بإحدى محافظات مصر، اِستيقظ على أذان الفجر كالعادة لكن تلك المرة استيقظ على رسالة منها فحواها أنها سوف تكون في مولد لأحد الأولياء المعروفين بقدراتهم الربانية الخارقة في إحدى قرى مصر، لم يكذب خبرًا حين قرأ الرسالة وحجز على أول طائرة ذاهبة إلى مصر بعد أن أخبر والديه بذلك، وصل إلى المطار القاهرة فحاول الاتصال بها لكن محاولاته باءت بالفشل حتَّى وصل إلى الفندق فوجد رقمها يرن على هاتفه فأجابها، اعتذرت له لانشغالها في اجتماع مفاجئ لكنها وعدته بالمقابلة بعد يومين في الاحتفالية الخاصة بالعارف الكبير.

مر يومان حتَّى ميعاد الاحتفالية حتى اتصلت مرة أخرى وطلبت منه مقابلته فاستفسر منها على العنوان وسجله بعد أن استفسر عن سر اللقاء خاصة في ذلك المنزل لكنها لم تجبه، يوم الاحتفال الساعة العاشرة صباحًا في أحد الطرق النائية دخل أحمد إلى ذلك المنزل المتفق عليه شعر أنّه يعرف ذلك المنزل جيدًا، دخل مسرعا حتَّى وجدها مسلسلة من أيديها وأقدامها والدماء تنزف منها من كل جانب وأشيائها ملقاة بجانبها، صدم من ذلك المنظر حاول أن يدخل لكن هناك من صرخ عليه من الخلف فركض هربًا من المكان حتَّى وصل إلى الفندق ليجمع أشيائه ثمَّ سافر إلى العراق على الفور.

مر أسبوع لم يغادر فيها غرفته منذ مجيئه من مصر، دخل عليه والده حزينا فاستفسر عن سبب حزنه ألقى له بالجريدة وغادر، فتح فوجد نعي الكاتبة الصحفية فاطمة الشاذلي على يد مجهول أثر تغطيتها لمولد العارف الكبير، ألقى

الجريدة على الأرض ثمَّ أمسك هاتفه ليرى أخر التطورات بداخل صفحتها كان زملائها ينعونها، قطع شروده صرخات أمه حين طالبته بالخروج فورًا، خرج فشاهد صورته على التلفاز حيث قرأ الخبر بأن الحكومة المصرية تطالب السلطات العراقية بتسليم قاتل الصحفية إليهم للمثول أمام المحكمة، كان والداه في حالة ذهول لم ينطقا بأية كلمة، دخل إلى غرفته في عقله ألف سؤال حتَّى باغته النوم.

شاهد ذلك الشيخ مرة أخرى يقف أمامه يأمره بأن يذهب إلى باب سامراء ومنه سوف يجد رسالة تدله على الحقيقة الكاملة، حذره أن يسلك أي مسلك أخر ولا يستمع سوى لصوت الحق ثمَّ عقله، فما هو مقدم عليه في حياته من الممكن أن يغير في خريطة العالم أجمع بمصائر البشر.

اِستيقظ من نومه على الفور لا إراديًّا قام بتحضير حقيبته ثمَّ الذهاب إلى باب سامراء حين وصل إلى هناك وجد صندوق ذهبي صغير ملقى في أحد الأركان نظر حوله فوجد المكان خالي نهائي وكأن البشر هجروه، فتح الصندوق فوجد تلك الرسالة وفحواها: "إن كان قدرك ساقك إلى هنا فأعلم أنك مختار للنبوءة، خروجهم هلاك ووجودهم دمار أنت وحدك من تستطيع دحرهم لكن اِتبع خطى الشيخ العارف الكبير، الملتقى قريب والحرب ليست ببعيدة تمسك ببابك واعتنق مذهبك سوف تجد الدليل" انتهت الرسالة فاختفى الصندوق.

- انتظرتك طويلًا، مرحبًا بك يا صديقي.

نظر أحمد لذلك الصوت فالتفتعن يمينه ثمَّ عن يساره حتَّى صدم من صاحب الصوت أنه حمد صديقه المتوفي، تراجع خطوتين للوراء حتَّى أكمل حمد كلامه قائلًا:

- تمهل يا أحمد فما أقحمت نفسك به ليس بهين سوف يكلفك حياتك، أنت لست ندا لهم سوف يقتلوك ويأخذوا ما يريدون.

- من تقصد وكيف لك أن تكون حيًّا؟ لقد دفنتك بيديّ.

- لا يهم أسمعني جيدًا، هم أسياد النار أهل الجحيم أشر أهل الأرض يتبعون سيدهم الأعظم بوجودك هنا أعلنت بدء الجولة الكبرى أنها بداية النهاية يا صديقي.

- لا أفهم ما تقصده يا حمد؟

- أخبرتك أن تنتظرهم.

- من هم يا حمد أخبرني ما أقحمت نفسي به؟

- سوف أخبرك يا صديقي أنهم أبناء سجيل!

لنا عودة.....

تمت بحمد اللّه

أحمد إبراهيم

17/9/2019

info@noonpublishing.net

02-338560372- 01127772007